الجزء التاسع والعاشر ٢٥١ ، ٢٥٢ المجلد الحادي والعشرون



ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٦ شوال وذو القعدة سنة ١٣٦٥

المؤلفون في مصر

كتبت الاجادة في التأليف لأكثر حملة العلم عند العرب من أهل القرن الثاني الى الخامس من الهجرة وكتبت الاجادة لبعض هذه الطبقة منذ القرن السادس الى القرن التاسع • وفي هذه العصور الأخيرة كان عهد المتوسطين بقرائحهم وعلمهم والنوابغ معدودين في كل جيل على أصابع اليد • وبعد العصر التاسع بدأ عصر التقهقر فضعفت اللغة ، وضعفت الآداب وأمست الأقطار العربية في سبات عميق نزع من النفوس مضاؤها ومن العقول تفكيرها ، وصار الدور دور العجمة والأعاجم ، ونشأ من ذلك قلة الدارسين والباحثين والشاعرين والناثرين ودام هذا الانحطاط الى اواخر المئة الثالثة عشرة •

تعلقت قدرة المولى تعالى ان يحمل العرب مشعل النور الى العالم بضعة قرون وتعلقت قدرته بعد ذلك ان تقع هذه الشعلة من أيديهم ويتلقفها أهل الغرب • فكان النور قبل العصور الوسطى يحمل من آسيا وأفريقية الى اوربا ، فأصبح بعد ذلك يحمل من أوربا الى آسيا وافريقية •

ولما كانت النهضة العربية الأخيرة في مصر كان أول ما بدئ به اصلاح اللغة واصلحت القوالب التي يؤدى الكلام بها ، وأخذ النبهاء منا عن الغربيين طرقهم في البحث والدرس ، فضموا الى قديمهم حديثاً طريفاً ، وأخذوا عن جيرانهم ما اشتدت حاجتهم اليه من ثقافة وتدريب .

وما جاءت المئة الرابعة عشرة حتى أخذ التأليف بالعربية يتجه وجهة لم يكن له بها عهد منذ أجيال . وما انسلخ الربع الأول من هذا القرن حتى تبدلت هيئة الكتابة وهيئة الشعر وتبدلت بتبدلها هيئة التأليف . أخذ الناس يحرصون على المعاني والمحسوسات أكثر من حرصهم في القديم على الألفاظ والخيالات . ودالت دولة الاسجاع والجناسات التي اخترعتها عصور الانحطاط ، ويكاد يقول من قرأ صفحة كتبت في القرن الثاني او الثالث وعارضها بأخرى كتبت في العصر الحادي عشر والثاني عشر أن اللغة تبدلت معالمها وروحها كل التبدل وخلص الجمهور من معان باردة وافكار مكررة وآداب لا تلامس الحياة في قليل ولا كثير .

كان الفضل الأول لاخراج اللغة العربية من الابتذال والركاكة وادخالها في طور جديد تجري فيه مجرى عصور الارتقاء لذاك المعهد العظيم الذي دعوه (دار العلوم) في القاهرة فتخرج بأساتذته أناس تشبعوا بالبيان العربي الصحيح وقلبوا بالتدريج الطريقة المألوفة عند المعاصرين ، وبذلك تغيرت لغة الخطب والصحف والكتب والمحاكم والمعابد . ومن عارض بين كتابة أواخر المئة الثالثة عشرة وكتابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر يتمثل لناظره الفرق العظيم بين لغة تموت ولغة تحيا ، وبين بيان مضغوط بالمحسنات اللفظية وبيان حي سالم من كل تزيد وفضول .

فصحت دعوانا والأمر على ما ذكر أن التآليف التي صدرت في الربع الثاني من القرن الرابع عشر أرقى من التآليف التي وضعت منذ القرن التاسع الى أواخر الثالث عشر في مصر وبلاد العرب ولا عبرة بالشواذ . والسر الأعظم في

هذه الاجادة يعود لاصلاح اداة التأليف كما قلنا ، ولسلامة اداة التفكير من التلوي والتعقيد ، وكان من أثر ذلك ان طلّق المؤلفون الموضوعات التافهة التي لا كتبها الا الألسن كثيراً ، وتشبثوا بايجاز المفيد منها ، وأتوا الأمة بأشياء جديدة ماعرفوها ، واصبح المؤلف لايلخص الا بعد بحث ، ولا يدون إلا بتمحيص ، ويبرّز على كل حال في ابراز الأفكار القديمة والحديثة في قالب مقبول من الرشاقة والجزالة . ولا نغالي اذا قلنا ان التأليف في هذه الحقبة انقلب رأساً على عقب بلغته وأفكاره وان التآليف التي كتبت بركاكة أواخر القرن الماضي واوائله تكاد لا تجد من يعطف عليها واكثرها حريةٌ بأن تكون صوراً ولفائف كالجرائد القديمة .

عارضوا كل ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه الشيخ احمد ابراهيم في كتبه الفقهية وما كتبه في هذين الموضوعين من تقدموهما في عصور الانحطاط تجدوا الفرق عظيماً بين من استجمعوا ادوات التأليف كلها وبين من لم يستجمعوها . والناقد البصير يدرك لأول نظرة ان ما كتبه محمد بخيت من شيوخ الأزهر على كثرته محكوم عليه بالعفاء لأنه خلا من روح العصر ومن بلاغة العصر ، وعرا من جمال الأسلوب وجودة التأليف إلا قليلاً . أما ما كتبه محمد عبده على قلته وهو من شيوخ الأزهر أيضاً فانه خالد لأنه كتب ورائده البلاغة وسلامة الفكر ، وكذلك قُلْ في كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق فان هذه الرسالة تبقى لأنها كتبت في موضوع مهم بلغة العصر الحديث وعلى أسلوب تفكير أهله . وليست منفعة التأليف بكثرة صفحاتها وتعدد مجلداتها ، فقطعة الذهب تساوي مئة ضعف من وزنها حديداً . ورب رسالة محكمة خلد بها اسم صاحبها وكم من مجلدات سقيمة ذهبت مع الزمن منسية . والمكثار لا يأمن العثار على كل حال .

ان ما كتبه قاسم امين في (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وعبد الرحمن الكواكبي في (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) وحافظ عفيفي في (على هامش

السياسة) و (الانكليز في بلادهم) وابراهيم المويلحي (فيما هنالك) ومحمد المويلحي (في حديث عيسى بن هشام) ومحمد علي علوبة في (السياسة المصرية) قد يعمّر ويفيد أكثر من مجلدات ضخمة كتبها محمد بخيت وطنطاوي جوهري ويوسف النبهاني واضرابهم فمن لم يهضم موضوعه لا يرتجى من الناس ان يهضموه ، ومن لم يتعب في اعداد عدته قلما يقبل قومه على اقتنائها .

اما بعد فان اللغة العربية لغة ايجاز ، ولا سلطان على عقول أبنائها أعظم من العبارات الموجزة وهذا العصر الذي نعيش فيه هو أيضاً عصر ايجاز واختزال يمل أهله التطويل بلا طائل ، ويكرهون التزيد في غير محله . ولو كتب كاتب من أهل العصر الماضي ما كتبه طه حسين في تاريخ (الأدب الجاهلي) و (على هامش السيرة) وفي (الايام) لكتب ألوفاً من الصفحات وما أغنى غناء طه ولا ابدع ابداعه . ولو ألف مؤلف قبل مئة سنة ما كتبه احمد امين في (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) و (ظهر الاسلام) ما كتبت له هذه الاجادة . ولو تم المنهاج الذي وضعه مع زميليه طه حسين وعبد الحميد العبادي على ان يكتب طه الحياة الأدبية في الاسلام كما كتب احمد امين الحياة العقلية ويكتب العبادي الحياة السياسية لكان فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام وتم عصر الاسلام اعظم معلمة عربية في هذا الموضوع لأن هؤلاء الثلاثة المؤلفين رزقوا حظاً عظيماً من البلاغة وعرفوا اساليب الغرب والشرق في التأليف وطرق الافادة .

وكتبت الاجادة في التأليف للعقاد والمازني وعنان على كثرة ما انتجوا ونشروا . ويعود قسم وافر من الفضل في اجادتهم الى تشبعهم باللغات الغربية والأدب العربي . واكبر الظن ان لكثرة التمرين دخلاً كبيراً في هذا الاحسان . وقلّ ان كتبت الاجادة لمثل العقاد على كثرة ما خاض عبابه من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفلسفية والأدبية والقصصية ، وقرينه في كثرة الانتاج محمد لطفي

جمة الا ان الرشاقة قد تخطئه لأنه نشأ مترجماً عن الانكليزية فأضعف النقل من ملكته . أما العقاد والمازني فقد نشآ نشأة أدبية وكان لهم في الشعر أيضاً فضلاً عن النثر يد طولى . ويكثر المؤلفون المحسنون في بيانهم بين طلاب دار العلوم والمعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي (الملغاة) أكثر من أمثالهم في الأزهر والجامعة المصرية والجامعة الأميركية .

كان لكثير من المؤلفين يد باسطة في التعريب اكثر مما كان لهم في التأليف ، وفي مقدمتهم احمد فتحي زغلول واحمد لطفي السيد . يعقوب صروف وابراهيم مصور ونجيب شاهين ومحمد السباعي وفريد ابو حديد واحمد حسن الزيات ، وهذا اجاد في تعريب (رافائيل) للامرتين (وآلام فرتر) لجوته ، والزيات يبالغ في تنميق ما يكتب فيجمع بين ادب العصر واسلوب البديع والخوارزمي والصابي وهو سواء ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد العزيز البشري يتشابهون في طريقتهم ويمتاز الأخير بأسلوبه الخاص به أساوب الهزل في الجد . وكتابه (في المرآة) الذي ترجم فيه لمعاصريه من المصريين على نهجه الخاص به في السخرية لو خلا من مصانعة بعض من كانوا يوم كتبه من الصدور لكان من أجمل الكتب في بابه . وأحسن ايضاً في كتابه (المختار) وهي مقالاته التي نشرها في مناسبات مختلفة ومن أهم ما ساعد على اجادته اكثر الأوقات احاطته بحياة كبار المصريين وصغارهم فهو قاهري يعرف ما في القاهرة من سر وجهر ويحسن عرض أدب المجالس ويورد النكتة صائغاً لها صياغة أدبية يدخل بها المرح على القلوب . والمجودون في هذا الباب قلائل وما ذاك لأن الجد غالب على المؤلفين بل لأن الهزل صعب المراس على التدين . وكان عبد الله نديم وروفائيل بن صفوع (ابو نضارة) وابراهيم المويلحي من أول من خطا في هذا العصر خطة الهزل في الجد فتذوق معاصروهم هذا النمط من الكلام ، وكان البشري أحد أساطين هذا الهزل المحبوب لعهدنا وكان مع صديقيه محمد البابلي وحافظ ابراهيم من أعظم رجال هذا الشأن .

ومن تلاميذ دار العلوم الذين برزوا في التأليف حفني ناصف واحمد الاسكندري ومحمد الخضري وعبد العزيز جاويش وعبد الوهاب النجار وضرباؤهم واكثرهم من المقلين لأن تعاطي اكثرهم التدريس طول حياته العملية قطعه عن التأليف بعض الشيء ولكنهم أجادوا فيما نشروه للناس فيمكن ان يقال ان علمهم أكثر من عملهم وانهم عاشوا للتوظف لا لأنفسهم . وعلى هذا النحو يمكن القول فيمن لو تفرغوا للتأليف لبرزوا كل التبريز امثال مصطفى المراغي احمد حسنين علي ماهر بهي الدين بركات علي زكي العرابي محمد حلمي عيسى محمد علي علوبة محمود ابو العيون مصطفى عبد الرازق منصور فهمي مظهر سعيد عبد الرزاق السنهوري سنى اللقاني محمد احمد الغمراوي احمد فهمي العمروسي عبد الله عفيفي انطون زكرى ابراهيم مصطفى توفيق اسكاريوس عمر لطفي رزق الله منقريوس .

فان هؤلاء وامثالهم من الأحياء ابانوا بالقليل الذي نشروه عن كفاية تامة اما من الأموات فاحمد شفيق وتوفيق البكري عبد الحميد البكري عبد القادر حمزة علي يوسف علي بهجت اسماعيل رأفت ، محمد توفيق صدقي ، ابراهيم رفعت ، علي ابو الفتوح ، اسماعيل حسنين ولي الدين يكن ، حسن منصور ، حسن توفيق ، امين سرور ، محمد فريد ، مصطفى الدمياطي ، محمود مصطفى .

ومن المؤلفين المجودين احمد كمال الأثري ، محمود سامي البارودي ، حافظ ابراهيم ، احمد شوقي ، اسمعيل صبري وهؤلاء الأربعة انبغ شعراء مصر في هذا العصر واحمد تيمور (باشا) ، واحمد زكي (باشا) واحمد زكي (الدكتور) علي مصطفى ، مشرفة محمد ، مسعود حافظ عوض ، عبد الرحمن الرافعي ، عبد الوهاب عزام ، محمد عوض محمد ، محمد حسين هيكل ، محمد ثابت ، اسماعيل مظهر ، مصطفى كامل ، محمد دياب ، سلطان محمد ، عبد الرحمن الجزيري ، احمد عبدالسلام الكرداني حسن السندوبي ، محمود عرنوس ، زكي نجيب محمود ، محمود الخفيف ، محمد خالد حسنين عبد العزيز الخولي ، سعيد العريان ، محمد عبد الغني ، حسن محمد بدران ، امين

مرسي قنديل ، محمد محي الدين عبد الحميد فكري اباظة ، احمد الزين أحمد فريد الرفاعي محمد فهيم عبد الرحمن البرقوقي .

ومن ألفوا في العلم والطب والاجتماع والتاريخ والآثار والفقه احمد عيسى احمد الشايب زكي مبارك احمد ضيف شوقي ضيف احمد الحسيني عبد الرزاق السنهوري امين واصف مصطفى زيادة امير بقطر توفيق حبيب اسعد داغر زكي حسن فرنسيس ميخائيل يعقوب فام عزيز خانكي حسن ابراهيم حسن سلامة موسى يوسف كرم ابراهيم مدكور عبد الهادي ابو ريدة مصطفى عناني احمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر احمد زكي ابو شادي محمد امين حسونة وفريد وجدي وهذا أجاد في الرد على الماديين اجادة حسنة واجادته قليلة في الكتب الكبيرة الحجم التي كتبها وقد بدت عليها العجلة ولم يظهر الدرس والبحث فيها كثيراً فالاكثار اضر بعمل هذا المؤلف النشيط العالم . وارجو ألا يكون كذلك حال المؤلف امين سامي فاني لم يسعدني الحظ بقراءة ما كتب ، ورجال الرأي مجمعون على انه من أعظم المؤلفين .

وطوّس الأدب العربي الحديث على اثر الأدب الغربي فكان من مستلزمات ذلك ان يستخدم القصة للتعليم والتسلية والعبث على أساليب الفرنج في هذا الضرب من الأدب ، فمن المجودين في الروايات التمثيلية شوقي والعقاد ومن المجودين في القصة المنثورة توفيق الحكيم ومحمود تيمور فالأول تلمح فيما كتب صورة من صور الغرب اكثر مما تحمل كتابته روح الشرق ، وفي قصص الثاني تتمثل لك الروح المصرية الشرقية وهناك غيرهم من كتاب القصص واكثرهم نقلة ومعربون لم أعرفهم اما لأني ضعيف الولوع بالقصة او لأن ضعف الكتابة فيما وضعوا وترجموا حال دون اعطاء الحكم فيهم .

ويكثر فيهم المؤلفون الذين وضعوا كتباً مدرسية للمدارس الابتدائية والثانوية وبعضهم اشتركوا مع زملائهم في وضعها وقد تجد كتاباً ليست له مكانة

كبرى تعاور تأليفه بضعة مؤلفين واظن الداعي الى ذلك الكسب لأن هذا النوع من الكسب يربح أرباحاً طائلة خصوصاً اذا كان له في وزارة المعارف من يساعد على انتشاره ·

وهناك عشرات من المؤلفين الذين كانوا من أصل سوري فنزلوا مصر وظهر فيها فضلهم ومنهم من تمصر وتحلى بالجنسية المصرية ومنهم من تعاطوا الطب والمحاماة والصحافة والوظائف فما انتجوا كثيراً لأن طبيعة أعمالهم اليومية حالت دون ما قد يشتهون تدوينه لنفع الناس · فمن هذه الفئات يعقوب صروف فارس نمر شبلي شميل خليل مطران عزيز خانكي نجيب حداد امين حداد محمد رشيد رضا رفيق العظم داود بركات خليل ثابت انطون الجميل نعوم شقير سعيد شقير جرجي زيدان محب الدين الخطيب فؤاد صروف وغيرهم ·

بقي ان اقول ان هنالك عشرات من المؤلفين لم تواتني الأيام ان انشرف بمعرفتهم او استفيد من علمهم في كتبهم وذلك لأن كتبهم لم تشتهر الشهرة التي تستحقها او انهم خاضوا من العلم فروعاً لم اعرفها · وأنا لم أتكلم إلا على المؤلفين الذين عرفتهم وطالعت كتبهم مستحسناً او ناقداً · ولم اقصد بهذه العجالة الحصر فالحصر يحتاج الى نفس أطول · وما زلت شهد الله منذ عرفت مصر اتعرف الى كثير من المغمورين وأعتقد ان بعضهم لو نظموا اوقاتهم بنظام بعيد عن الفوضى الاضطرارية احياناً لاشتهروا في الأقطار بما يوازي مكانتهم الأدبية والعلمية · واني أمثل لذلك بأربعة فقط عملت معهم في مجمع اللغة العربية بمصر وهم حسين والي واحمد العوامري وعلي الجارم ومحمد احمد جاد المولى فقد اعجبت بما انطووا عليه من علم غزير في آداب العربية ومعرفة دساتيرها وأسرارها بيد ان ما نشروه للناس اقل مما كان يرجى منهم · وما عللت ذلك الا بأنهم صرفوا جزءاً عظيماً من أعمارهم في التدريس أو الاستخدام فضاقت أوقاتهم عن الاتساع لغيره من الأعمال الكبرى · نعم تخرج بهم كثيرون ولكن لم تتجاوز أنوار معارفهم البيئة التي اضطربوا فيها · ومن المتعذر ان يحرز الفرد كل المزايا فالمحاضر غير الخطيب

والكاتب غير الشاعر والمؤلف غير المدرس والصحافي غير السياسي ولا عبرة بالشواذ .

واكبر الظن ان علة ذلك كله تفضيل الناشئين العيش الهنيء المضمون في أبواب الحكومات وايثارهم له على الصناعات الحرة التي يسرح صاحبها ويمرح على هواه ويتحمل وحده تبعة اعماله . ولو ضعفت شهوة الاستخدام في بعض النفوس المصرية ربما زاد عدد الباحثين المجودين وتضاعفت جمهرة من ينتفع الناس منهم نفعاً عاماً وربما كان تغير بذلك وجه المدنية العربية . والأمم التي تعلق كل مجد لها على حكوماتها فقط يكون حظها من الحضارة محدوداً بخلاف الأمم التي يعول بنوها على الاستقلال في الأعمال وتتقزز نفوسهم من الاتكال . وليس من الغرابة في شيء ان يكون معظم مؤلفي مصر في هذا العصر من الذين اتصلوا بالحكومة مباشرة وقل ان رأينا ذا نعمة وسعة من العيش حاول نفع الناس بقلمه وبيانه اللهم الا ثلاثة عظماء من أمراء البيت العلوي الكريم وهم الأمراء عمر طوسون ويوسف كمال ومحمد علي توفيق فكتب الأول في تاريخ مصر الحديثة كتباً مفيدة جداً ووضع الثاني سفراً عظيماً سماه المجموعة الكمالية ضمنه جميع ما كتب في جغرافية افريقية باللغات القديمة والحديثة انفق عليه نحو خمسين الف جنيه مصري وصدر منه الى الآن ثلاثة عشر مجلداً طول الواحد نحو متر . وكتب الأمير الثالث رحلاته الى انحاء العالم الشرقي والغربي فجود بها وأفاد .

هذا وقد يتساءل بعضهم فيقول اليس في كل هذا الرعيل من الرجال سيدات جارين الرجال في التأليف في مصر على عهدها الأخير فالجواب نعم ان منهن اليوم من هن موضع العجب فمن عهد عائشة عصمة التيمورية الى زينب فواز وملك ناصف (باحثة البادية) الى ماري زيادة (مي) الى نور الحكيم الى نظلة الحكيم الى زينب الحكيم الى انصاف فهمي الى احسان احمد القوصي الى سهير القلماوي الى امينة سعيد الى غيرهن من المؤلفات نرى طبقة ضاهت الرجال باخراجها ثمرات عقولها للناس وسيخرج من النساء عدد أكبر في الجيل المقبل .

محمد كرد علي

الغزالي وزعماء الفلاسفة

١ — تمهيد عام

لتطور الأفكار في تاريخ البشرية قانون عجيب يمكننا ان نسميه قانون التضاد او قانون التناوب في التهالك . وهو يدل على أن كل مذهب من المذاهب سياسياً كان او فلسفياً ، يمهد السبيل لظهور ضده .

والسبب في ذلك أن في الطبيعة البشرية نزعات متضادة كالميل الى التفاؤل والتشاؤم ، والميل الى الرخاء والتقشف ، والميل الى الحياة الروحية والمادية . فاذا سلكنا طريق نزعة من هذه النزعات وبالغنا في ارضائها أدى تهالكنا في ذلك الى إحياء ضدها . ان مبالغة بعض الناس في التفاؤل تدفع بعضهم الآخر الى التشاؤم ، كما ان التهالك في محبة الجديد يوقظ في قلوب الناس محبة القديم .

وما ينطبق على تناوب الميول والنزعات يصدق أيضاً على تطور الأفكار . فاذا انكشف لمفكر مذهب جديد بحث أولاً عن أصوله ، ثم رتبها وهذبها ، ثم بالغ في استخراج النتائج اللازمة عنها . واذا لم يبالغ هو نفسه في النتائج قام اصحابه من بعده وبالغوا فيها . حتى يجيء مفكر جديد يصعب عليه التسليم بنتائج ذلك المذهب فيعود الى الأصول وينتقدها ، ثم يصوغها في قالب موافق لنزعته الجديدة . ان المبالغة في النتائج اللازمة عن مذهب (ديكارت) و (ليبنيز) أدت الى المذهب الخيالي وفسحت المجال لظهور المذهب التجريبي . كما ان المبالغة في المذهب التجريبي أدت الى الريبية ومهدت السبيل لظهور المذهب الخيالي . وهكذا تدور رحى الآراء والمذاهب حول قطبين متضادين ، وينتقل ميزان الفكر من طرف الى آخر حاملاً الى كل طرف ما ربحه من حركته الاولى . فكأن تاريخ الأفكار مسرح يمثل عليه كل مفكر دوره ، وكأن العقل البشري لا يحب الا المآسي .

مثال ذلك ان مذهب سقراط في الأخلاق كان مشتملاً على نزعتين متضادتين أدت المبالغة في كل منهما الى ظهور مذهبين مختلفين هما السيرينائية والكلبية . فأصحاب المذهب الأول كانوا يقررون أن السعادة في اقتناص اللذات . واصحاب المذهب الثاني كانوا يعتقدون ان الفضيلة في التقشف واحتقار التقاليد الاجتماعية والتحرر منها . ثم تولد من هذين المذهبين مذهبان آخران هما الابيقورية والرواقية ، كان القائلون بكل منهما يتهالكون في الدفاع عن آرائهم والرد على مخالفيهم ، السابقون يضعون أساس البناء ، واللاحقون يهدمونه ، وفي تهديمهم هذا اصلاح لأصول المذهب ، واستئناف لانشائه .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ايضاً رد (ارسطو) على كل من قبله من الفلاسفة حتى على استاذه افلاطون . ورد مفكري الاسلام منذ اتصالهم بالفرس واليونان على الثنوية والدهرية . فقد كان ابو الهذيل العلاف وابراهيم النظام يستعينان بالفلسفة للرد على اعداء الدين . وكان الفلاسفة انفسهم يقتبسون من العقائد الدينية بعض مبادئهم ومقدماتهم ، حتى اصبحت المذاهب الفلسفية في ذلك العهد اشبه شيء بالمذاهب السياسية ، لا بل بالأدوار المسرحية . لكل مذهب زعماؤه ورؤساؤه ، كلما ظهر مذهب جديد انبرى فريق من المخالفين للرد عليه . والسبب في ذلك أيضاً ان كلام المترجمين الذين نقلوا كلام أرسطو الى اللغة العربية لم يخل من التحريف والتبديل ، حتى أثار ذلك نزاعاً شديداً بين الشارحين . وكان أقدم الفلاسفة بالشرح والتحقيق ابو نصر الفارابي وابن سينا حتى سمي الأول بالمعلم الثاني ، وسمي الثاني بالشيخ الرئيس فانتشر بهما مذهب الفلاسفة وتهالك الناس في اتباعه . فلا غرو اذا اطلق الغزالي عليهما وعلى اصحابهما اسم زعماء الفلاسفة وانبرى للرد عليهما في كتاب التهافت ، وزعم انه كشف عن فنون ما انخدعا به من التضليل والتخييل ، وانه برده عليهما انما ردّ في الوقت نفسه على كلام آرسطو . وكما رد الغزالي على الفارابي وابن سينا فكذلك ردّ ابن رشد على الغزالي في كتاب تهافت التهافت :

ان تهافت الناس على الفلاسفة ادى الى حملة الغزالي عليهم كما أن اعجاب الناس بكتب الغزالي دعا ابن رشد الى نقدها . وهكذا لم تزل أبداً حال الفلاسفة بعضهم مع بعض ، اذا عظم أمر أحدهم ، وأخذ الناس في اتباعه ، تصدّى له فريق من المخالفين وحملوا الناس على استنكار مذهبه .

٢ — أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة وغايتها

ونريد الآن ان نبحث في الحملة التي شنها الغزالي على الفلاسفة ونبين أسبابها وغايتها وأثرها في تاريخ الفلسفة العربية .

أما **أسباب** حملة الغزالي على الفلاسفة فترجع الى ما شاهده في زمانه من اضطراب الفرق وتعدد المذاهب والطرق ، وانحلال العقائد الدينية . فقد قاسى الغزالي من جراء ذلك آلاماً نفسية عظيمة ، وحاذر ان يقضي هذا الاضطراب على العقائد الاسلامية ، فندب نفسه الذب عن حياض الدين ، واراد ان يكون اماماً مرشداً ومصلحاً دينياً ينقذ اخوانه مما غرقوا فيه من الضلالة . فخاض في ذلك كما يقول[١] «خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور» . متفحصاً عن عقيدة كل فرقة ومستكشفاً أسرار كل طائفة ، لا يغادر باطنياً الا ويحب ان يطلع على بطانته ، ولا ظاهرياً الا ويريد ان يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً الا ويقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً الا ويجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته[٢] . فألف في الرد على مذهب التعليم كتاب المستظهري و كتاب حجة الحق و كتاب مفصل الخلاف ، و كتاب القسطاس وغيرها والَّف في الرد على علماء الكلام كتاب الجام العوام عن علم الكلام ، وألَّف في الرد على الفلاسفة كتاب **التهافت** .

ولكن الفلاسفة كانوا في نظر الغزالي أشد خطراً على الدين من غيرهم لما غلب على الناس من حب كتبهم وحسن الظن في علومهم . فهم قد أرادوا أن

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص — ٦٦ طبعة مكتب النشر العربي بدمشق .

(٢) من المنقذ باختصار ص — ٦٦

يزنوا كل شيء بميزان العقل وان يوفقوا بين الحكمة والشريعة ، فكان الدين في يدهم آلةً خادمة للفلسفة حتى تفاقم أمرهم وبالغوا فيما ارادوه ، واصبحوا خطراً على الدين والاخلاق .

أما خطرهم على الدين فيرجع الى انهم اعتقدوا في انفسهم كما يقول الغزالي التميز على أترابهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات ، واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده ، وكان مصدر كفرهم بزعمه انهم سمعوا باسماء هائلة كسقراط وبقراط وافلاطون وارسطو وأمثالهم واطلعوا على مبالغة متبعيهم في وصف عقولهم وحسن اصولهم ودقة علومهم الهندسية والمنطقية وحكايتهم عنهم انهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، جاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، معتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فتجملوا بالكفر واظهروا التكايس في تقليد الباطل . قال الغزالي :

« ولما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الأغبياء ، انتدبت لتحرير كتاب التهافت رداً على الفلاسفة القدماء ، مبيناً تهافت عقيدتهم ، وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفاً عن غوامض مذهبهم التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء[1] » .

ولا شك ان المعجب بأقوال الفلاسفة في المنطق والرياضيات يظن كما يقول الغزالي ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان هي كهذين العلمين ، ثم يسمع بعد ذلك اشياء كثيرة عن كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع فيقلدهم ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم . دع ان الجهال من اصدقاء الاسلام يكذبون كل ما جاء به الفلاسفة ويقولون انه مخالف للشرع مع إن الذي يقرأ العلوم الثابتة بالبرهان لا يشك في تلك العلوم ، بل يشك في مكذبيها وبسوء ظنه فيهم .

(١) التهافت ، ص ٣ ، طبعة مصر .

وأما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع الى انهم أهملوا أحكام الشريعة ، فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم ادركوا حقيقة النبوة وعلموا ان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة ، وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال في الشهوات . فاذا ترفع الانسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف ، وكشف عنه الغطاء ، وأصبح بصيراً بحكمته . وإنك لتجد بعضهم كما يقول الغزالي[1] يقرأون القرآن ويحضرون الجماعات والصلوات ويعظمون الشريعة بلسانهم . وهم مع ذلك لا يتركون فسقهم وفجورهم ، « حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له انه عاهد الله على كذا وكذا ، وان يعظم الأوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً ، بل تداوياً وتشافياً ، فكان منتهى حاله في صفاء الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض التشفي[2] » . وفي هذا السلوك كما يرى الغزالي خطر على اخلاق الناس .

ولم تكن غاية الغزالي من نقد آراء الفلاسفة سلبية ، بل كانت غاية ايجابية . فهو لم يهدم البناء الذي اقامه الفلاسفة على اساس العقل الا لينشئ صرحاً جديداً على أساس الكشف الباطني والوحي القلبي . فشك في علم الكلام ، وشك في مذهب التعليم ، وشك في الفلسفة ، وشك في العقل ، وانحلت عنه رابطة التقليد وطلب العلم اليقيني ، « وهو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً ، لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم[3] » ، فوجد علومه غير متصفة بهذه الصفة . وطمع في اقتباس اليقين من الحسيات . فلما تأملها لم تسمح له نفسه بتسليم الأمان فيها ، لأن حاكم العقل كثيراً ما يكذب حاكم الحس ويخونه ويبطله . فلما بطلت ثقته بالحسيات تأمل الضروريات العقلية ، وكاد يثق بها لولا اعتراض الحسيات وقولها لعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم

(١) المنقذ ص ١٥٠ (٢) المنقذ ص ٥٠ (٣) أيضاً ٦٩

العقل فيكذب الحس في حكمه . ويمكن ان تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم . فالعقل يكذب الحس والحس يكذب العقل كأن هناك مأساة جدلية محزنة ، تظفر فيها العقليات على الحسيات ثم تعود الحسيات فتتغلب بجدلها على العقليات . ولو استسلم الغزالي لهذا الجدل لبقي على مذهب السفسطة ، ولكانت غايته سلبية محضة . الا انه استطاع ان يخرج من الشك عن طريق الكشف الباطني والحدس الديني فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية موثوقاً بها على أمن ويقين ، لا ببداهة العقل كما فعل (ديكارت) ولكن بنور قذفه الله في الصدر ، وذلك النور في نظره مفتاح اكثر العلوم .

وها هنا مسألة لا بد من الاشارة اليها وهي ان الغزالي لم يحمل على الفلاسفة لعجزهم في الالهيات عن الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق ، بل هدم آراءهم ليظهر عجز العقل عن الخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم انه يقول في بيان اسباب حملته على الفلاسفة انهم ما قدروا في الالهيات على الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق[1] ، « وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور علومهم الحسابية والمنطقية ويستدرجون ضعفاء العقول . ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها »[2] . « وان ما شرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق وما شرطوه في صورته في كتاب القياس ، وما وضعوه من الأوضاع في « ايساغوجي » « وقاطيغورياس » لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية »[3] وهذه الأقوال تدل بحسب الظاهر على ان الغزالي يؤمن بأحكام العقل ويعتمد على البراهين المنطقية وانه لم ينتقد الفلاسفة الا لعدم وفائهم بشروط البرهان المنطقي في مسائل ما بعد الطبيعة ، فأحكام العقل صادقة ، الا

(١) المنقذ من الضلال ، ص (٢) تهافت الفلاسفة ، ص ـ ٨ (٣) التهافت ، ص ـ ٦٦

ان الفلاسفة اساؤا استعمالها ، وخالفوا شروطها . ولو وفوا بهذه الشروط لسلموا من انتقاده اللاذع . ولكن من قرأ كتاب التهافت وتصفح المسائل التي أوردها الغزالي في الرد على الفلاسفة لم يشك أبداً في موقف الغزالي من العقل في علم ما بعد الطبيعة . فهو لم يحمل على الفلاسفة لتقصيرهم في الوفاء بشروط البرهان فحسب بل هاجمهم ، كما فعل ابن خلدون بعده ، لتهديم صرحهم الفلسفي من أساسه ، معتقداً أن أحكام العقل صادقة في الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات اما في علم ما بعد الطبيعة فان العقل المحض عاجز عن الوصول الى اليقين ، وسيتضح لنا هذا الأمر عند استعراض بعض المسائل التي كشف الغزالي عن تناقضها الداخلي وهي كلها تدل على ان الغزالي لا يقتصر على تعجيز الفلاسفة عن اقامة الدليل وتخطيئهم في البرهان فحسب ، بل تشير الى ان مسألة الصفات الالهية ومسألة ازلية العالم وابديته ، ومسألة استحالة الفناء على النفوس البشرية وغير ذلك من المسائل ، لا توزن بميزان العقل البشري ، بل يحتاج العقل في ادراكها الى عامل آخر هو الكشف الباطني والايمان القلبي والوحي الديني .

٣ — طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة

اما طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة فتشبه رد رؤساء المذاهب او زعماء الأحزاب على آراء مخالفيهم . فهو ينقد أدلة الفلاسفة كما ينقد الصيرفي الماهر الدراهم الزائفة . ويخرج منها الزيف وغير الصحيح من الفاسد ، حتى لقد أظهر في ذلك حذقاً لا مثيل له في تاريخ الفكر العربي . لم ينتقد الغزالي مذهب الفلاسفة انتقاداً عاماً مبهماً كما يفعل النقاد في أيامنا هذه ، بل انتقده انتقاداً عميقاً منظماً . فحدد المسائل التي خالف فيها الفلاسفة عقائد الاسلام ، ففندها واحدة واحدة ، وانتقد ما فيها من جهات الضعف . ومن اجل الرد على الفلاسفة قرأ الغزالي مذهبهم وألف فيه كتاباً وجيزاً سماه كتاب المقاصد ، نظر فيه نظر الباحث الذي يقرر المسائل ويحكيها على وجهها ، غير متعرض لما فيها من حق أو باطل . والسبب

في ذلك انه لم يرض لنفسه ان يظن به الغفلة عن أصل حجة الفلاسفة ، فلذلك قررها الى أقصى حدود الأمكان ، ثم عاد الى ذلك في كتاب التهافت ، فأفرد لكل مسألة من المسائل بحثاً خاصاً . ومن قرأ كتب ابن سينا وقرأ بعدها كتاب التهافت اعجب بقدرة الغزالي على عرض المسائل وايضاحها . وربما كانت قراءة كتاب التهافت ضرورية لكل من أراد ان يفهم مذهب ابن سينا . فهو قد قرر حجة الفلاسفة بلغتهم واصطلاحهم وهجر في رده عليهم الفاظ المتكلمين والاصوليين ، بل اوردها كما يقول بعباراتهم في المنطق ، ودخل عليهم في ذلك كله دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت ، فقطعهم بإلزامات مختلفة فالزمهم تارة مذهب المعتزلة واخرى مذهب الكرامية ، وطوراً مذهب الواقفية وجعل الفرق جميعها إلبا عليهم ، واراد ان يتفق الجميع ويتظاهروا عليهم ، فعند الشدائد تذهب الأحقاد .

وطريقة الغزالي هذه تذكرنا بطريقة القديس توما الاكويني في رده على الملحدة فهو يعرض المسألة ثم يقسمها الى وجوه مختلفة ، ويعين المطالب ثم يذكر أجوبتها ، ويحدد الشبه ثم يبين وجه الخروج منها ، ثم يورد الاعتراضات المقابلة ويفندها . وربما كان كتاب التهافت اكمل ما وصل اليه فن الجدل المدرسي عند العرب ، فهو اكمل من كتاب الانتصار لأبي الحسين الخياط واكمل من كتاب تهافت التهافت لابن رشد من حيث اسلوبه وفنه . والفارابي وابن سينا لم يبرزا في هذا الفن ، كما ان ابا الحسن الأشعري لم يوفق في مقالات الاسلاميين لشيء من هذا ، لأنه اقتصر على عرض عام للآراء والمذاهب من غير ان يفصل المطالب ويجادل فيها . ومن قارن بين أسلوب الغزالي واسلوب ابن سينا اعجب بقدرة الأول على التحليل والافهام . فأسلوب ابن سينا هو أسلوب الفيلسوف الموزون كل لفظ من الفاظه مطابق لفكرة معينة ، ليس فيه زيادة او نقصان اما أسلوب الغزالي فهو أسلوب الخطيب ، او أسلوب الواعظ والمعلم تتدفق الفاظه كالسيل وتجيء مفعمة بالفكر والعاطفة . وقد تجد للمعنى الواحد عنده عدة الفاظ ،

وتجد للفظ الواحد عدة معان تختلف باختلاف الكلام وسياق العبارة ، وقد تتبدل معانيه بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد . وليس في الفلسفة العربية كتاب بلغ من دقة الألفاظ ورشاقة الأسلوب ما بلغه الغزالي في المنقذ من الضلال والاحياء من حسن الاشارة ولطف العبارة ، اللهم الا كتاب حي بن يقظان لابن طفيل .

وكثيراً ما كان الغزالي يعدل عن الفاظ الفلاسفة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه ، كما فعل في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأعانه ذلك على نشر أفكاره ، قال ابن طملوس : « غير اني عندما تصفحت كتب ابي حامد رأيت من تلويحاته واشاراته التي تكاد ان تكون تصريحاً ان له فيها (أي في صناعة المنطق) تآليف ورى في تسميتها عن ان يسميها باسم المنطق . وهذه الكتب منها معيار العلم له وكتاب محك النظر وهو دون المعيار وكتاب القسطاس المستقيم ومقدمة المستصفى في الفقه ، ومنها مقدمة المقاصد . فهذه الكتب التي الفها ابو حامد هي من صناعة المنطق ، لكن ابا حامد غير اسماء الكتب واسماء المعاني المستعملة فيها ونكب عن الفاظ أهل الصناعة الى الفاظ مألوفة عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه . وما فعل هذا كله الا حذراً وتوقياً من ان يجري عليه ما جرى على غيره من العلماء الذين اتوا بالغريب وغير المألوف من الامتحان والامتهان . فصانه الله عن ذلك بلطفه وبما اعطاه من بديع الحيلة . فانه عاشر جميع الاصناف وولج معهم الولوج الذي شاركهم به المشاركة التامة حتى صار اماماً في كل صنف ورئيساً في كل مذهب »[١]

فالغزالي لم يستعمل لغة الفلاسفة واصطلاحهم الا في كتاب المقاصد وكتاب التهافت أما في كتبه الأخرى فقد غير اسماء المعاني ، وفضل الألفاظ المألوفة عند أهل زمانه على الألفاظ الفنية الغريبة . ولولا ذلك لما أقبل الناس على مطالعة كتبه ولما اعجبوا بما فيها من حسن الترتيب وجودة النظام والتبويب .

(١) ابو الحاج يوسف بن محمد بن طملوس ، كتاب المدخل لصناعة المنطق ، طبعة مجريط ١٩١٦ ص ١٣

٤ — موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة

ولكن ما هو موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة ؟

لقد أشار الغزالي في كتاب التهافت الى ان الخلاف بين الفلاسفة وغيرهم انما يرجع الى ثلاثة أقسام :

١ — قسم يرجع النزاع فيه الى الفاظ مجردة كتسميتهم صانع العالم جوهراً مع تفسيرهم معنى الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع اي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقومه . ولا مجال لابطال هذا في نظره لأن المعنى اذا اتفق عليه في الذهن يرجع الكلام في التعبير عنه الى اللغة والاصطلاح .

٢ — والقسم الثاني من هذه المسائل لا يصدم اصلاً من أصول الدين كالعلوم الرياضية والمنطقية فليس شيء منها يتعلق بأمور الدين نفياً واثباتاً . وهي أمور برهانيه لا سبيل الى مجاحدتها . ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وعلى نفسه معاً .

٣ — والقسم الثالث يشتمل على المباحث الالهية التي تصدم أصلاً من أصول الدين ذكر الغزالي منها في كتاب التهافت عشرين مسألة غلط فيها الفلاسفة فبدعهم في سبع عشرة مسألة وكفرهم في ثلاث هي القول بقدم العالم ، واقتصار علم الله على الكليات دون الجزئيات ، وانكار حشر الأجساد .

لا يتسع المقام الآن لاستعراض جميع هذه المسائل ، ولو أردنا استقصاء مسألة واحدة منها استقصاء تاماً لاحتجنا الى مقدمات طويلة من فلسفة ابن سينا والفارابي . فلنقتصر اذن على الاشارة الى بعض القضايا التي تدل على ان الغزالي قد وفق في نقده لوضع اصول جديدة لفلسفة عامة جديدة . وهذه القضايا التي نريد ذكرها على سبيل المثال هي مسألة المعرفة ، ومسألة العالم والزمان والمكان ، ومسألة السببية .

يتبع : —— جميل صليبا

آل بكتكين ـ مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٥٢٢ هـ — ٦٣٠ هـ)

١ ـ كلمة

تكونت في العراق امارات عديدة نالت مكانة في التاريخ . وأغلبها لم تكسب ثقة الشعب ولا حصلت على الاعتماد المطلوب في الادارة أو في خدمة الحضارة والعلوم والآداب . والامارات الصغيرة لا يتعرض لذكرها أحياناً بأكثر من العلاقات المهمة الخاصة بالدول الكبرى ، مما أدى الى اغفال أعمالها الداخلية وأوضاعها الذاتية وبذلك صعب البحث لقلة وسائل الوصول الى حقيقة التاريخ لهذه الامارات وتفاصيل حياتها .

وان هذه الامارة من تلك الامارات الصغيرة تكونت في اربل سنة ٥٢٢ هـ — ١١٢٨ م وكانت أقطعتها دول الأتابكة في الموصل ايام عماد الدين زنكي (٥٢١ — ٥٤١ هـ) لأحد امرائها (زين الدين علي كوچك) . فصارت تابعة لها مدة . ثم تطورت بها الحالات فتابعت (الدولة الأيوبيه) في الشام ، ثم مالت الى (الخلافة العباسية) لما رأت من جفاء الأيوبيين ، فعدلت عنهم . تقلبت بها الأوضاع السياسية في أطوارها كلها . وهكذا كانت في علومها وآدابها تابعة لهذه الدول . فلم يطرأ عليها فتور ، ولا خلل فعاشت الى رمضان سنة ٦٣٠ هـ — ١٢٣٣ م ، فبلغت عمراً تجاوز المئة سنة تمكنت في خلاله من التوجيه السياسي والاجتماعي والثقافي ، وولدت اتصالاً سياسياً وعلمياً بالأقطار الاسلامية العديدة من عربية وغير عربية ، وأحسنت الادارة ، وقامت بمشاريع خيرية مهمة نالت

بها مكانة من نفوس الشعب ، وبقي ذكرها مردداً على الألسنة وفي بطون التواريخ ، لهج به القاصي والداني ، نالت من سمو المكانة ما لم تبلغه الامارات التي توالت على إربل قبلها أو بعدها ...

وربما زاد ذكرها وفاقت غيرها من امارات كبيرة أو دول شغلها عن الأمر الأهم ما شغل من آمال خسيسة قضتها في حروب ، أو ألهتها الاضطرابات من جراء سوء التدبير ، ومن المغامرات التي لا طائل تحتها .

وهذه الامارة لا تزال آثارها شاخصة للعيان ، جليلة في ماهيتها وفي أثرها وتأثيرها ، وصلت الى أقصى ما استطاعت ، فكانت في كل صفحة من صفحاتها تدعو للالتفات ، وتستوقف النظر ، وتستحق التدوين في عامة أمورها حتى في علاقاتها الخارجية بل ان هذه العلاقات مدونة اكثر مما هو خاص بأصل الامارة وداخليتها . لا سيما أيام آخر امرائها (مظفر الدين كوكبري) سارت من أول نشأتها في طريقة مثلى التزمتها . واستمرت في تكامل وعظمة حتى أيامها الأخيرة . لم تدع لتطرق الفساد اثراً ، ولا لسوء الادارة مجالاً ولم تتسرب اليها الأهواء ، ولم يداخلها الغرور وأمل الاستيلاء . وانما اعتبرت استثمار المملكة واستغلالها من خير الوسائل وأجلها مقرونة بحسن الادارة ، وجليل العمران ، فأخذت بنصيب وافر مما غفل عنه كثيرون أعماهم الجهل أو الحرص والطمع ...

ويهمنا ان نعلم عن هذه الامارة ما كان من أمرها مجموعاً ، وندوّن ما عرف من حياة ، ومن اتقان عمل بقدر ما أمكن العثور عليه من الوثائق ، وما سمحت به النصوص التاريخية . وكأنّ امراءها تعاهدوا على الصلاح والتزموا الاصلاح ، وتعاقدوا على الخير فضربوا رقماً قياسياً للادارة الحقة ، والسياسة القوية حتى جاءت أيام (كوكبري) ، فظهرت اكثر ، وبدت أوضح .

ولم يكن خيرهم مقصوراً على أعمالهم لأنفسهم أو لمدنيتهم ، بل تجاوزوها لخدموا الاسلام في جهادهم ، ورعوا الثقافة ببذلهم للمدارس ، وبالصرف بسخاء لاتصال العلوم والآداب ، فنالت هذه الامارة الفخر والأجر ، وعاشت بهناء واطمئنان

مرغوباً فيها من الأهلين ومن الخارج ، فكانوا في ارتباط بالعلماء لمختلف الاقطار .

كانت هذه الامارة في الأصل إقطاعاً كأمثالها من امارات عديدة ، تولت إربل أيام الأتابك عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ — ١١٢٨ م ، ودامت على الولاء والموالاة للأتابكة من أسرته الى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ — ١١٨٤ م وفي التاريخ المذكور مالت الى (الدولة الأيوبية) . وبقيت على الولاء لها مخلصة الاخلاص كله ، لم تلعب بها الأهواء الى سنة ٦٢٧ هـ . ولما رأت من حكم الملك الأشرف[1] ما رأت من جفاء وصدود ، بل من اتفاق بينه وبين بدر الدين لؤلؤ على الوقيعة بها وعزم بدر الدين على أخذ اربل منها مالت الى الخلافة العباسية ، وذهب مظفر الدين كوكبري في المحرم سنة ٦٢٨ هـ — ١٢٣٠ م الى بغداد بعد أن استنجد بالخليفة المستنصر بالله ، فنهى عن التدخل في أمره ، ومن ثم انتمى اليه .

وفي خلال ادارة هذه الامارة لم تدع مجالاً للاطماع ان تتحكم ، بل كانت في يقظة تامة وانتباه زائد لما كان يجري في العلن أو الخفاء فلم تقصر في إعداد العدّة للطوارئ وانما كانت على استعداد لكل ما يتوقع . وفي أيام انقيادها لحكم الأتابكة وتوسع ادارتهم كانت تستخدم قوة جيشها لمصلحة الأتابكة ، ولغاية التمكن من القضاء على حكم المجاورين فكان عملها كبيراً ، فالارتباط مشهود في السياسة العامة ، وملحوظ دوماً في عهد الأتابكة ، ونعرف درجة ذلك في الاتصال بدولة بني أيوب ، ثم بالخلافة العباسية .

من الضروري معرفة ذلك ، وادراك علاقته بالدولة السلجوقية ، وبالخلافة العباسية والا كنا بعيدين عن الاطلاع على كنه هذه الامارة والاحاطة بموقعها ، أو غافلين عن مجرى الأمور في التاريخ العراقي والاسلامي وسياسته الخارجية .

وهذه المعرفة لا تؤدي الى الهدف المطلوب حتى نعلم سياسة اربل الداخلية وادارتها

---

(١) تملك الرها سنة ٥٩٨ هـ ـ ١٢٠١ م وكذا حران ، وانتمى اليه بدر الدين لؤلؤ مما دعا الى أن يميل كوكبري الى المعظم والظاهر غازي . وهكذا توترت العلاقات .

المحلية ودرجة علاقتها بالاهلين عسكرياً واداريا وثقافياً ، ومقدار ما أسدى أمراؤها من خدمات متصلة باربل مباشرة .

تحتاج كل هذه الى استعراض الوقائع وتثبيتها ، وهي مبعثرة هنا وهناك في طيات كتب التاريخ ، فمن المحتم علينا أن نثيرها ، ولا نبالي بالصعوبات ونبذل المستطاع في تنظيم هذه الجهود ، ونقدم ما يتجدد عندنا من المعرفة ليضاف ، فتنجلي الحالة بأمثلة لا تستغني بالموجود بل تتطلب الاكمل والكمال .

واذا كان مجرى الحوادث لا يدرك الا من الوقائع الثابتة والاستعانة بها ليؤدي الأغراض المطلوبة اشارة أو صراحة فان الاستكثار منها ، ومراعاة الحالة المشهودة والوضع الجغرافي مما يؤدي الى معرفة القدرة التي كسبتها هذه الامارة من ضبط الأمور فتظهر الادارة الحكيمة والسياسة المستقيمة التي بلغتها .

ولا يكفي هذا وحده ، وانما نحتاج أكثر الى ما يعين أوضاع الدول الاسلامية في حالاتها السياسية نحو الامارات ، ونحو بعضها . وليس لدينا الا ما يلهمه التاريخ مقروناً بالوضع المشهود ، فنرى الصعوبة كبيرة والمهمة شاقة . وربما كان التصدي لها تعرضاً لما يعد عملاً متعباً جداً .

واننا في هذه الحالة استنطقنا نواحي عديدة أمثال ما ذكر . ومن أهم ما هنالك العشائر وما فيها من طاعة ، وما يبدو من أوضاع جغرافية تفسر الحوادث ومثل هذه لا تدرك بسهولة ، فلا تفي الوقائع بالحاجة اذ قد تأتي من جهة واحدة ، ويتخللها اعلانات وتهويلات تتعلق ظاهراً بالخدمة العامة وينطوي باطنها على آمال ونيات تنزع الى الاستيلاء والتحكم ، أو اختلاق معاذير لا أصل لها ، فتظهر في العلاقات الخارجية . وهنا الانتباه واليقظة .

نرى المثبطات كثيرة في الوقوف على مثل هذه الأحوال وادراك كنهها ، والخذلان بين ، تكاد تكون القدرة مفقودة . ولعل في هذه النبذة ما يكون أصلاً للتوسع فيضاف ما أغفل أو أهمل فيتوالى التتبع العلمي ليكمل الغرض التاريخي .

وهذه الكلمة نتيجة إلهام وقائع ، ومجاري تاريخية تعين ما جال في الخاطر ،

وما رغبنا في بيانه من خلاصة المطالعات في تكوّن هذه الامارة ، ودوامهـا ، وانقراضها ، أو معرفة سياستها الداخلية والخارجية حتى صارت في طيات التاريخ ، ففي حياتها هذه غرابة وفي ادارتها قدرة التمكن من ناصية الأمور ، ودوام حياتها من أغرب الغرائب بين دول عديدة لها آمالها وأمانيها ، وقد ندرك نياتها من اتفاقاتها ومعاهداتها وما طرأ على هذه الامارة من جرائها ، وللمجاورة دخل في الايضاح ، وللعداء طريقة في الاظهار والاعلان . والنزعات لا تحصى ، والتقصير في التدوين لا ينكر . والعلوم والآداب نالت مكانة ونجحت نجاحاً باهراً لا يقل عما سبقه ، زادت في المصانع الخيرية وأعمال البر ، وقوت ماستطاعت من علاقات ثقافية .

نحن في حاجة عظيمة الى التنظيم والاظهار لتاريخنا هذا وأمثاله . جعلت (التاريخ السياسي) قسماً ، و (التاريخي العلمي والأدبي) قسماً يتلوهما مايتعلق بالحضارة والعمران جعلناه قسماً آخر بعنوان (تاريخ المجتمع) وبعد ذلك كله أنهينا القول بكلمة ختامية .

٢ — التاريخ السياسي

١ — السياسة الدولية

عاشت الدولة العباسية بصولة وقوة من سنة ١٣٢هـ — ٧٤٩ م ودامت مدة بلغت بها أوج الكمال ، ثم تناوبتها أحداث فلت من غربها وخضدت من شوكتها بحيث اضطرب فيهـا حبل الأمن داخلاً وخارجاً واستمرت على ذلك حتى قضي على استقلالها بتغلب (البويهيين) ودخولهم بغداد في ١٢ جمادى الاولى سنة ٣٣٤هـ — ٩٤٥ م . وأزيل حكم هؤلاء من بغداد بعد مضي اكثر من مائة سنة في ٢٥ رمضان سنة ٤٤٧ هـ — ١٠٥٥ م بتغلب (دولة آل سلجوق) ، فحلت محلهم . وهذه الدولة ظهرت بقوة فائقة سيطرت بها على الخلافة وعلى أقطار عديدة . ولم تقنع بالطاعة وحدها ، ولا اكتفت بالاذعان بل أرادت ان تكون هذه الامارات خالصة لها فأبدلت اماراتها بمماليك من الترك أو امراء منهم ، وبينهم من تسمى بـ (الأتابكة) مثل (الخوارزمشاهية) ، و (أتابكة الموصل) و وأتابكة آخرين ، فنجوا الامارات

الأولى وأقصوها عن الحكم ، وصار أمر البلاد بأيديهم رأساً فلم يقنعوا بالسلطة العامة ، بل انتزعوا الممالك، وقضوا على اماراتها، فصارت في حكم أمرائها اقطاعاً لهم .

جروا على ذلك . وكادوا ينجحون في التسلط على الممالك واماراتها ويسيطرون على البلاد وأن يكونوا بمأمن من الغوائل لو لا ان الأمور لم تجر دائماً طبق المراد ، وانما تولد الشقاق في نفس الأسرة المالكة فداخل أفرادها الطمع ، وامراءها الاثرة ، فتطرق اليها الخلاف مما ادى الى التطاحن والخصام ، والهى عن السيطرة المنشودة أو التمكن من الادارة بتلك الهمة .

وشعر أهل الاقطاع من الأتابكة بقوة ، وجل ماعملوا انهم ناصروا بعض الأمراء للتمكن واستعان هؤلاء الأمراء بهم لصد غائلة المطالبين بالسلطنة ، أو الميل الى الثائرين من الأسرة المالكة ، فولد ذلك نخوة في نفوس الأتابكة ، فأضمروا الانفصال عن أصل الدولة . شعروا بأن الضعف استولى عليها ، وكان هؤلاء الأتابكة قوة بيدها زمام الأمر ، فتظاهروا بالتابعية ، ولكنهم انسلوا منها ، وهكذا مضوا في طريق الاستقلال، ومن أشهر هؤلاء (اتابكة الموصل) ، وان امارة اربل كانت تابعة لها .

والخلافة العباسية حاولت الاستفادة من ضعف الدولة السلجوقية وانشقاقها على نفسها ، وهي تحرق الارم على هؤلاء المتغلبة الذين سلبوها استقلالها ، ولكنها كانت عاجزة لا تملك من القوة ما تستطيع عمله ، وبغداد وحدها لا تكفي ، وهي أيضاً في تشتت آراء ، واضطراب أوضاع ، وليس في وسعها رفع التغلب ، وقد حرمت الوسائل . واذا كانت قد استطاعت في أيام المقتفي رفع التسلط عن بغداد سنة ٥٤٧ هـ ١١٦٢ م فلم تقدر أن تقاوم الأتابكة ، ولا ان تسترد ما تغلبوا عليه ، ولم تتمكن حتى من اربل ، أو من دقوقا ، أو تكريت ، أو شهرزور ، أو الحلة ... ولم تقدر ان تمس الأتابكة في الموصل ، ولا الأيوبيين في الشام وانما تمكنت من بعض الأطراف .

وفي هذه الحالة من ضعف آل سلجوق ، ومن الخلافة تيسر للأتابكة أن يعيشوا فيهددوا الامارات الصغيرة المجاورة والخلافة معاً حتى بعد انقراض الدولة السلجوقية

سنة ٥٩٠ هـ — ١١٩٤ م . ولم يكن في مقدور الخلافة أن تخضع أتابكة الموصل ولا أتابكة اربل ، بل كانت مهددة بالخوارزميين ، فصار هؤلاء يحاولون ان يحلوا منها محل الدولة السلجوقية ابان تغلبها مما ولد لها مشاكل بسبب هذه المشادة التي نهكت الدولة العباسية ، ونفرت الأهلين منها أيام الخليفة الناصر خاصة .

عاشت دولة الأتابكة ولم تخش الدولة العباسية ، ومثلها دولة الأيوبيين . وهكذا كانت الامارات المشتقة من الاتابكة و (امارة اربل) إحداها .

وموضوع بحثنا (امارة اربل) ، وهذه لم تتمكن الخلافة من اخضاعها ، ولا دولة الاتابكة في الموصل استطاعت القبض على قيادها . ولا الدولة الأيوبية قدرت أن تتسلط عليها ، بل كل واحدة كانت تخطب ودّها ، وترغب في أن تميل اليها لتعديل الكفة ، والاحتفاظ بالموازنة . وكانت سياستها التهديد للواحدة بالأخرى على الرغم من ضعفها بل برهنت مراراً على قدرة في جيشها في واقعة (حطين) ، وفي حادث هجوم أتابكة الموصل عليها أيام مجاهد الدين قايماز وانفصاله من اربل ، وفي حادث قطعها العلاقات من الدولة الأيوبية ...

ويصح أن تعتبر أدوارها التاريخية :

١ — تابعيتها لأتابكة الموصل . من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٧٨ هـ .

٢ — انقيادها لآل أيوب . من هذا التاريخ الى سنه ٦٢٧ هـ .

٣ — طاعتها للخلافة العباسية . من ذلك العهد الى سنة ٦٣٠ هـ .

والنصوص التاريخية تعين أوضاعها . كانت تحسب بعيداً وتفكر في أمرها تفكيراً عميقاً ، ولم تترك شئونها للمقدرات ، أو لتلاعب الأهواء بل كانت المسيطرة على الحالة ، الحاكمة على الموقف .

وفي هذه كلها ما يعين وضعها السياسي بين (الدول الاسلامية) ويلتمس في حسن التدبير ، والالتفات الى تنظيم الحالة المالية في ميزانيتها . وفرت مبالغ مهمة للطوارئ ، وأخرى للجيش ، وهكذا للمشاريع الخيرية وسائر الأمور . ولم تقف في حالاتها عند ذلك بل راعت أمر المسلمين ، وقامت بالمصالح العامة من مساعدات

حربية ، وفك أسرى ، ومشاريع ثقافية ، وصلات علمية ، ومعاهد دينية . ولعل في إلمام الوقائع ما يبصر اكثر من هذا الاجمال فتنجلي أمورها التاريخية واضحة لا خفاء فيها ولا ابهام .

ولا شك ان تاريخ هذه الامارة يستحق البحث من وجوه ، وأرجو ان يكون هذا نواة صالحة للتوسع .

٢ – آل بكتكين

(امراء هذه الأسرة)

ان السياسة الخارجية تظهر جلياً في هذه الامارة وعلاقاتها بالدول ، وكذا الارتباط بالأهلين وأمر ادارتهم داخلياً وهذه كلها لا تتعين الا في وقائعها المعروفة وما قامت به من أعمال . وكل ما نعلمه ان هذه الامارة كانت إقطاعاً من أتابكة الموصل في شهر رمضان سنة ٥٢٢ هـ – ١١٢٨ م فقامت أعمال حربية وسياسية وثقافية .

ظهرت قدرتها فيما حكمته من أرض ما بين الزابين المسماة بـ (صهران) أو (صوران) من مملكة اربل . وفي إقطاعها ، ومتابعتها للموصل ، ثم انقيادها للدولة الأيوبية فالخلافة العباسية مما توضحه الحوادث التاريخية والشؤون السياسية في تفسير هذا الميل ، ويتخلل ذلك بعض الأوضاع الخارجية والداخلية معاً .

وفي امارتهم هذه أرضوا الأهلين ، فلم يكونوا عتاة جبارين ، ولا أرهقوا اربل اكثر مما تطيق ، وانما عاملوها بالحسنى ، وراعوا رغبتها ، وولدوا فيها ثقافة بلغت من الشهرة مبلغاً عظيماً ، فصارت مطمح أنظار العلماء ، ومحط رحال أهل الثقافة ، وآثار هذه الامارة في اربل لا تحصى . ويتعين ذلك بالكلام على كل واحد من امرائهم حتى نختمها بكبير هذه الأسرة وآخرهم مظفر الدين كوكبري ...

وهذه قائمة امرائهم .

١ – زين الدين علي كوچك بن بكتكين ولي اربل سنة ٥٢٢ هـ .

٢ — مظفر الدين كوكبري . حكمها من سنة ٥٦٣ هـ حين وفاة والده .

٣ — زين الدين يوسف بنالتكين بن علي كوجك . صار أميراً مكان اخيه سنة ٥٦٧ هـ .

٤ — مظفر الدين كوكبري للمرة الثانية والأخيرة . وليها بعد وفاة أخيه سنة ٥٨٦ هـ ودام حكمه الى ان توفي في رمضان سنة ٦٣٠ هـ .

وتهمنا معرفة تاريخ هـذه الامارة باعتبارها جزءاً من تاريخ العراق لا سيما وقد حصلت على مكانة ذائعة . وكان ابن المستوفي وضع تاريخاً لها سماه (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل) لم يصل الينا منه إلاّ ما علم اخيراً من وجود جزء منه في لندن . وعرف بعض النقل منه مفرقاً هنا وهناك . وآخرون لخصوه أو كتبوا تاريخ اربل ممن لم تصل الينا تواريخهم [1] .

وغالب المراجع الأخرى تتعلق بالموصل ، أو بالشام وأنحائها ، وبالخلافة العباسية وصلتها بمؤرخيها ويغلب على هذه الشمول ، أو الخصوصية بدولة الأتابكة ، أو بدولة آل أيوب . وفي هذه تعرض لبعض المطالب . وقلما نرى من الحوادث ماوله شهرة عامة .

لم تصل الينا الا نتف من هذا التاريخ مبددة . وغاية ما يقال فيها انها (تاريخ علاقات) ، فالنقص فيها ظاهر ، وقد رجعنا اليها ، والى النقود المضروبة ، والمدونات العديدة . مزجناها بمشاهدات الأوضاع الطبيعية أو الجغرافية ، والعشائر والأهلين . والآثار الأدبية ، والعلمية . فجمعنا ما يصلح من تاريخ هذه الامارة بالرجوع الى الأتابكة وتاريخهم في العهد الأول ، والى الدولة الأيوبية في العهد الثاني ، والى الخلافة العباسية ومدوناتها في الزمن الثالث من أدوار حياتها . فتكونت جملة صالحة مما يأتي النقل منه في حينه . وعلى كل حال كانت هذه الامارة جديرة بالبحث .

٢ — زين الدين علي كوجك

هو ابن بكتكين ، أول أمراء هذه الأسرة باربل . كان استولى على اربل

(١) كشف الظنون ـ تاريخ اربل . والاعلان بالتوبيخ ص ١٢١ .

عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ[1] فجعلها اقطاعه . وعرف بـ (كوچك) لأنه كان صغير الجسم . أصله من التركمان من مماليك قسيم الدولة والد عماد الدين .

وفي الغالب لم يعرف عن الامارات الصغيرة مثل اربل ، ولا ذكر عن أمرائها ما يشفي غلة . فاذا علمنا بعض اسماء أمراء اربل مثل أبي الهيجاء ، وابنه الأمير فضل[2] فلا نعرف اكثر من ذلك . ولما قتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م ما كان عماد الدين بلغ العشر سنوات . وكذا كان زين الدين علي كوچك صغيراً . فتقلبت الأحوال بعماد الدين زنكي ، واجتمع اليه اعوان والده حتى دخل الموصل والياً في ١٠ شهر رمضان سنة ٥٢١ هـ - ١١٢٧ م فأسس امارة الأتابكة في الموصل وفي رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م استولى على اربل ، فصارت اقطاعاً لزين الدين وأصبح تابعاً لامارة الموصل .

تحولت الأحوال بهذه الامارة وتغير وضعها فمالت للأيوبيين وتم الاتفاق بينهما في ذي الحجة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٤ م وبعدها في سنة ٦٢٧ هـ انحرفت عن الدولة الأيوبية ، وفي المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٥٠ م ألحقت بالخلافة العباسية حتى انقرضت هذه الامارة في رمضان سنة ٦٣٠ هـ بوفاة مظفر الدين كوكبري .

وزين الدين علي كوچك أرضى دولة الأتابكة لما قام به من خدمات فحصل منها على اقطاع اخرى مثل الهكارية (العمادية وأنحائها) ، وعقر الحميدية وحران وتكريت وشهرزور . وتقدر مكانة هذا الاقطاع في الخدمات التي أسداها بل اعتقد ان دوام ملك الأتابكة وتوسعه مدين لاربل وحسن ادارة المترجم فيها ، والجيش الذي استخدمه في القضاء على الامارات الصغيرة .

وكان رجال عماد الدين زنكي أصحاب مواهب لم يتهيأ مثلهم في دولة الا قويت ادارتها ونشطت في حروبها ، واكتسبت سياسة مكينة في قوام حكم ،

(١) كتاب الروضتين طبعة سنة ١٢٨٧ وادي النيل بمصر القاهرة ج ١ ص ٣٠

(٢) الاعتبار لأسامة بن منقذ ص ٨٧ طبعة جامعة برنستون الولايات المتحدة .

وتجلت قدرتها . ومن أبرز رجالها نصير الدين جقر بن يعقوب ، كان نائب عماد الدين زنكي . ولما قتل في ذي القعدة سنة ٥٣٩ هـ — ١١٤٥ م استقر رأي الأتابك في ان يكون (زين الدين علي كوچك) نائبه على الموصل ، ولم يتعرض لاقطاعه في اربل وغيرها ، وبقيت هذه الاقطاعات في أيدي نوابه .

قال ابن الأثير في أتابكة الموصل :

« استقر زين الدين وتمكن ، وسلك بالناس غير الطريق التي سلكها نصير الدين ، فاطمأن الناس وأمنوا ، وازدادت البلاد معه عمارة . » اهـ

وقال الفارقي في تاريخه :

« كان قد قتله غلمانه في ٨ ذي القعدة من السنة ورتب في الموصل زين الدين علي كوچك وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والأقساط فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا وجميع البلاد ورأى الناس منه كل خير الى ان مات » اهـ [1] ومدح ابن القلانسي سيرته على خلاف ما جاء في تاريخ الفارقي .

دام استقرار زين الدين علي كوچك مدة حياة عماد الدين زنكي ، وبعد ان قتل زنكي في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ ١١٤٦ م تمكن زين الدين في الدولة الأتابكية تمكناً عظيماً [2] . أقره الأتابك سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ هـ — ٥٤٤ هـ) في نيابة الموصل ، وزاد في اقطاعه كما كان ذلك ايام والده ، ولم يتغير شيء من الوضع . وكيف يتغير وكان قد أزال كل تذمر كان في نيابة سابقه ولو تجنب كل صاحب سلطة مما يتذمر منه من سلف لبلغت الادارة عندنا حداً لائقاً . فلم يختل أمر في الادارة ، ولا طرأ فساد .

ولا يهمنا التوسع في ادارة دولة الأتابكة ، وانما المقصود أن نعرف ادارة اربل في أيام هذه الامارة والا فان اعمال المترجم الخيرية في الموصل لا تنكر ،

(١) تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي ـ هامش ص ٢٨١ وفصل ابن القلانسي قتله نصير الدين جقر .

(٢) تاريخ الأتابكة في الموصل ص ١٤٧ وفي ابن خلكان توفي عماد الدين زنكي في ١٥ ربيع الآخر .

واعماله مشهودة ، وهي مشرّفة له وقدوة لمن جاء بعده ومن أهمها مدرسته ، كما انه قبض على زمام الأمور ، وأبدى قدرة تضاءلت دونها غيرها ، فاكتسب الثقة التامة من الأهلين والأتابكة معاً . ورافقه التوفيق في ادارته ونال التوجه بكل معناه .

وهذه لم تمنع ان يلتفت زين الدين علي كوچك نحو اربل ، ومراقبة نوابه فيها . فكلّ منهم أراد ارضاءه في نيابته في الطريقة التي مشى عليها في الموصل ، فحاول هؤلاء النواب ان يتخذوا هذا الأمير قدوتهم في ادارة اربل ، أو رسم لهم ما أراد فنفذوا حرفياً ، وقاموا بمثل ما قام به هذا الرجل الكامل من اعتدال وتبصر وعمل نافع .

دام في الخلاصه لسيف الدين غازي الى ان توفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م ، فولي أمر الأتابكة بعده اخوه قطب الدين مودود (٥٤٤ هـ - ٥٦٥ هـ) فأبقاه على ما كان عليه ، وزين الدين مدبر دولته وصاحب رأيه ، فكان نعم المدبر والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة[١] .

وهنا نقول ان ادارة اربل ظهرت في نوابه وحوادثه الأخرى البارزة .

١ - انه سار بجيش على بغداد لمناصرة السلطان محمد بن السلطان محمود من رجال الدولة السلجوقية . وكان هذا الحادث سنة ٥٥١ هـ - ٥٥٢ . وفي حربه هذه كان يميل الى الدولة العباسية ، ويناصرها باطناً ، ولم يقصد الوقيعة بها ، وجرت مراسلات بينه وبين الدولة العباسية أظهر فيها ميله اليها[٢] .

يدل على ذلك ما جرى من الاحتفال به عندما قصد حج بيت الله الحرام سنة ٥٥٨ هـ ، فمرّ ببغداد وكان قد نهاه كثيرون من جراء ما وقع من حرب

---

(١) ابن خلكان : طبعة سنة ١٢٧٥ هـ ببولاق مصر . (٢) التفصيل في الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ٨٦ طبعة بولاق وابن القلانسي ص ٣٤٣ وفي أخبار الدولة السلجوقية المسمى (زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) لصدر الدين الحسيني بتصحيح محمد اقبال مدرس اللغة الفارسية في فنجاب طبعه في لاهور سنة ١٩٣٣ م .

بغداد ، حذره اصحابه من جراء مناصرته الملك محمد السلجوقي . فلما وصل الى بغداد أكرمه الخليفة المستنجد بالله العباسي ، واجتمع به وأمر بالخلع عليه . وفي هذا الاحتفال أبدى أموراً كانت محل التفات الخليفة والزيادة في انعامه .

وذلك انه لما لبس الخلعة وكانت طويلة عليه لقصره مدّ يده الى كمرانه واخرج ما شدّ به وسطه ، وقصر الجبة ، فنظر الخليفة المستنجد اليه ، فاستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الأمير والجندي لا مثلكم . فلما دخل قبل يده ثم خرج من عنده بعد ان حادثه بالتركية وكان المستنجد يتكلم بها جيداً ، فلما خرج نظر اليه المستنجد من شباك وقد اخرج شيئاً من السيف الذي انعم به عليه من الديوان فلم يره جيداً ، وهو يومي برأسه يعني انه غير جيد ، فأرسل اليه سيفاً آخر ، وقال للرسول : — يقول لك أمير المؤمنين ذاك السيف يترك ، وهذا تقاتل به اعداء امير المؤمنين واعداء المسلمين .

فرد وجهه وقبّل الأرض ، وتقلده . ثم مضى في طريقه الى الحج ، فأحسن الى الناس في الطريق وكثر الصدقات (١) .

٢ — في سنة ٥٥٥ هـ كان قد سار سليمان شاه من الموصل الى همذان ، وكان زين الدين معه ليتولى السلطنة ، فرأى في طريقه ما رأى من خلل في ادارة الجيش وتسلط الأمراء ، فأبدى حكمة وعقلاً في الانسلال والرجوع لما عرف من نتائج تؤدي اليها الحالة (٢) .

٣ — في سنة ٥٥٩ هـ ارسله قطب الدين مودود منجداً الملك العادل نور الدين وكان قد كاتب نور الدين الأطراف ، وكاتب العباد والزهاد المنقطعين فذكر لهم ما يلقي المسلمون من الافرنج ، وما ينالهم من القتل والأسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ، ويطلب منهم ان يحثوا المسلمين على الغزاة ، فأمدوه للهياج الحاصل في الممالك الاسلامية من جراء ما قام به هؤلاء الزهاد والعباد من دعوة ، فحذر

(١) الدولة الأتابكية ص ٢٠٧ . (٢) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ .

الملوك والأمراء ان يفسد عليهم الأمر في ادارتهم ، فكانت (واقعة حارم)[1] .

٤ — في سنة ٥٦٣ هـ سار زين الدين الى اربل ، وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع الى الاتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحرّان ، وقلعة عقر الحميدية ، وقلاع الهكارية جميعها ، وتكريت وشهرزور .

وسبب ذلك انه طعن في السنّ واصابه عمى وصمم ، فتنازل عن كل ما في يده من اقطاعات وأبقى اربل وحدها بيده .

٥ — في السنة التي ذهب بها الى اربل توفي في ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ هـ — ١١٦٨ م . وكان استولى عليه الهرم ، وضعفت قوته . وكان في اربل مرقده الأخير[2] . ولا يزال معروفاً .

٦ — حياته الخاصة : كان خيراً عادلاً ، حسن السيرة جواداً ، محافظاً على حسن العهد ، واداء الامانة ، قليل الغدر بل عديمه . وكان اذا وعد بشيء لا بدّ له من ان يفعله وان كان فعله خطيراً . وكان حاله من أعجب الأحوال بينما يبدو منه مايدلّ على سلامة صدره وغفلته حتى يظهر منه مايدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء .

قال ابن الأثير : « بلغني انه اتاه بعض اصحابه بذنب فرس ذكر انه نفق له فأمر له بفرس فتداول ذلك الذنب ١٢ رجلاً كلهم يأخذ فرساً ، فلما احضره آخرهم قال له اما تستحيون مني كما استحي منكم قد احضر هذا الذنب عندي ١٢ رجلاً وانا اتغافل لئلا يخجل احدكم اتظنون انني لا اعرفه بلي والله انما اردت ان يصلكم عطائي بغير منّ ولا تكدير فلم تتركوني وامر له بفرس آخر ... » اهـ

وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيماً ، وكانت له البلاد الكثيرة ، فلم يخلف شيئاً بل نفد جميعه في العطاء والانعام على الناس فكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج الجندي اليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط ودسترك وغير ذلك .

(١) الدولة الأتابكية ص ٢٢٠ [وكتاب الروضتين ج ١ ص ١٣٣] والتفصيل هناك .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٠ والكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٣٤

وكان من أشجع الناس ميمون النقيبة لم تهزم له راية وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركياً أسمر اللون خفيف العارضين قصيراً جداً ، وبنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها . بلغني انه مدحه الحيص بيص[1] فلما أراد الإنشاد قال له انا لا أدري ما تقول لكنني اعلم انك تريد شيئاً وامر له بخمسمائة دينار واعطاه فرساً وخلعاً وثياباً يكون مجموع ذلك نحو الف دينار . ومكارمه كثيرة نقتصر على بعضها ولما توفي كان الحاكم باربل خادمه مجاهد بن قايماز وهو المتولي لأمورها[2] .

وجاء في اوراق قديمة لمؤلف مجهول : « كان قصيراً جداً ، عادلاً ، حسن السيرة ، كثير الأمانة ... ميمون النقيبة ، لم يكسر جيش هو فيه ، وكان بخيلاً ، ثم ان جاد في آخر عمره ، وبنى المدارس والربط والقناطر والجسور ... » اهـ[3] .

يتبع : (بغداد) عباس العزاوي

---

(١) ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٥ (٢) تاريخ أتابكة الموصل ص ٢٦٦

(٣) الظاهر أن هذه الأوراق من تاريخ الذهبي ولم أتمكن من المقابلة .

عقدا نكاح

كُتبا في أواسط القرن الثامن

أعثرني الاتفاق بعقدي نكاح كتب أولها في ٢٣ رمضان سنة ٧٠٤ الهجرية الموافق لسنة ١٣٠٤ الميلادية وكلاهما أجريا بثغر اسوان أحد الثغور المصرية القائمة على شاطئ نهر النيل وهما يتعلقان بأميرة تدعى أم الخير ابنة الأمير ركن الدين الحسين بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك الى ان يتصل نسبها بمعد بن عدنان .

فالأول اكتتبه الأمير علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال الدين حامد ابن رحال بن عمار بن حامد بن عمار الكاهلي .

والثاني اكتتبه الأمير عز الدين أفرون (كذا) بن تاج الدين مريح (كذا) ابن شرف الدين محمود بن فخر الدين مالك الى ان يتصل نسبه بمعد بن عدنان أيضاً . والظاهر من هذا النسب ان افرون المذكور من بني عمومتها .

وجاء في العقد الأول عن المعقود عليها الأميرة الجليلة المصونة والدرة المكنونة البكر البالغ وفي العقد الثاني الأوصاف ذاتها يتبعها المرأة المالكة أمر نفسها .

وهذان العقدان لم يدونا بالرق المصنوع من الجلد المدبوغ كعادة ذلك الزمان في تحرير الصكوك أو بالكاغد الصقيل الذي كانت تكتب به الكتب والدفاتر بل ان كل واحد منهما مكتوب على قطعة نسيج من الحرير الأخضر الذي لم يتخرق ولم يتشقق الى الآن ولذلك فان اللذين كتبا العقدين أو الذين شهدوا عليهما من الشهود قد عانوا بعض المشقة في كتابتهم لأن القلم لا يجري على الحرير كجريانه على المواد الأخرى المعدة للكتابة . ولذلك فقد عانى كاتب هذه السطور أيضاً بعض النصب في قراءة العقدين المذكورين عن النسيج الذي أتعب من كتبوا عليه .

وهذه نسخة العقد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي وعلى آله واصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

الحمد لله الذي شرّف الأنساب وفضلها ، وعظم الأحساب وكملها ، واوضح الأحكام وبينها ، الذي هدانا بملة الاسلام التي هي أفضل الملل ، وجعلها ميزان عدل معتدل ، وجاور من الأشياء ما دقّ وجلّ ، وتفرد بوحدانيته عزّ وجلّ ، هادي الألباب ، ومرشد النظر الى الصواب ، وحافظ الدراري والأعقاب ، الذي خلق أبا البشر من تراب ، واجرى النطف من الأصلاب ، الحاكم بعدله ، والهادي إلى الخير وسبله ، ومعمر البسيطة بآدم ونسله ، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان وحبله ، فهو ما أمرت الشريعة باعتماد فعله ، وأباحه الله على لسان رسله ، فقال عز من قائل في محكم منزله ، « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » أحمده على ما يسره وأظهره وأشكره على ما قضى به من التواصل وقدره ، وسهله من التصاهر ويسره ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تدرأ العذاب ، وتستنزل رحمة العزيز الوهاب ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكم وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة الى يوم المآب ، قادرة بالعلم والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل .

وبعد فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام وقال جلّ ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » وقد ورد عن سيد ولد بني تهامة : « تناكحوا تكثروا فاني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة » وسيرفع حجاب ما سبق في هذا الكتاب .

فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق مما حضرنا لأجله ، ويحوط هذا الأمر بالخير بعده وقبله ، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له الفاتحة والختام .

وكان مما سُورع اليه ووقع التعويل عليه وهو ما يُقرأ عليكم في كتاب أوله

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

هذا كتاب صداق ، وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تسمو على أصحابها ، وسعادة تنمو الى خطابها ونعمة قد منّ الله سبحانه بها ، اكتتبه الامير الأجل المحترم علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال الدين حامد بن رحال بن عمار بن حامد ابن عمار الكاهليّ لمخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة البكر البالغ المدعوّة أمّ الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين ابن الجناب العالي المولوي الكبيري الأجلي المجتبي المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك بن الأمير الأجل المجاهد صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد ابن الأمير الأجل المجاهد سيف الدولة وعُمدتها ابي الفتح نصر ابن الأمير الأجل عضد الخلافة كنز الدولة حسام أمير المؤمنين ابي الفتح ابراهيم ابن الأمير الأجل ابي عبد الله محمد بن علي ابن محمد بن يوسف ابن معدي كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن الدُوَل[1] بن حنيفة بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن ربيعة بن نزار ابن معدّ بن عدنان ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه من الذهب العين المصري المثاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار الحالّ من ذلك مائة دينار واحدة وباقي ذلك وهو من عين الذهب اربعمائة دينار بالصفة المذكورة يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطاً لها عليه الى تقضي عشر حجج من تاريخه وهو ثاني عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك بايجاب من ضياء الدين احمد بن طاهر بن سيدهم النقيب بباب الشرع الشريف بثغر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال الدين محمد وذلك بشهادة من يذكر كل منهم رسم شهادته آخره وعلى الزوج المذكور ان يتقي الله عزّ وجلّ

---

(١) هكذا في الأصل وقد وردت في عقد الثاني الدُئل والصواب الدُوَل رجل من بني حنيفة ابن لجيم وحيّ من بكر بن وائل كما جاء في القاموس . بيد أن المبرد في كتاب نسب عدنان وقحطان ذكره المؤمل .

فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف ، وبالخلق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وله عليها مثل الذى لها عليه ، ودرجته زائدة عليها بقوله تعالى في محكم كتابه العزيز « وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

ولما وضح لسيدنا الفقيه الأجل الامام العالم العبد الكامل المدرّس الفاضل القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين أبو العباس أحمد القرشي نسباً الاسنائي بلداً المستخلف في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا أقضى القضاة حاكم الحكام بقية السلف الكرام شرف الدين أبي مدين شعيب ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى القاضي الأجل الفقيه الامام العالم العلامة جمال الحكام حلاّل الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين أبي التقي يوسف القرشي الشافعي الحاكم يومئذ بمدينتي أسنا وأدفو وثغر أسوان المحروس ومامع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية الشافعي أدام الله اقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم ان الزوجة المذكورة حرّة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية فحينئذ أمر بكتبه فكتب وزوجت من الزوج المذكور بالصداق المسطر أعاليه حاله ومؤجله قبل الزوج لنفسه ذلك قبولاً صحيحاً شرعياً فورياً خار الله لكل منهما في صاحبه وبلغه أقصى مآربه .

وبجميعه شهد على من سُمي فيه مما نُسب اليهم في التاريخ المقيد أعلاه بتاريخ الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

حضرتُ العقد المذكور
وشهدت على من
تسمى بما نسب اليهم
فيه وكتبه
محمد بن عبد العزيز

شهدتُ على الأمير علم الدين الزوج
المذكور بمعلوم الصداق المذكور
وعلى الزوجة المذكورة بقبض
الحال المذكور وكتبه
محمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز

شهدتُ على الأمير علم الدين	حضرتُ عقد النكاح وشهدتُ
الزوج المذكور على الصداق المذكور	على المذكورين بما نسب اليهم
وعلى الزوجة بقبض الحال	وأشهد على الزوجة
المذكور علناً وكتبه	بقبض الحال
علي بن نعمة الله	وكتبه محمد بن احمد بن عبدالعزيز

وهذه نسخة العقد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي تعبدنا بطاعته ، وشرّفنا بعبادته ، وأنالنا من احسانه وفضله ورحمته ، الذي جعل النكاح من شريعته ، وحثّ عليه في كتابه وسنته ، وجمع بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته ، والف بين الزوجين فسكن اليها فصرف كلّ منهما الى الآخر غاية مودته ومحبته ، أحمده على ما أولى من نعمته ، وأشكره على آلائه ومنته ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف بربوبيته ، مقرّ بوحدانيته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث الى كافة الأمم برسالته ، والمخصوص في المؤمنين بشفاعته ، صلى الله عليه وآله وصحابته ، ما أعقب ليل صباح بكرته .

وبعد فهذا عقد شمله التوفيق بكليته ، واكتنفه اليمن بجملته ، الزوج فيه من ذوي الأقدار المشهورة ، ومن ارباب البيوت المذكورة ، قد نشأ على قدم الخير والاصلاح ، وتعاطى أسباب التقوى والصلاح ، والزوجة بالدين والعفاف موصوفة وأبوتها بالأوصاف الجميلة معروفة ، فالله يقرن عقدهما بالتوفيق ، ويجريه على أبهج طريق ، وكان مما أراده الله عزّ وجل في القدَم ، وجرى به في اللوح المحفوظ بالقلم ، نكاح الأمير الكبير المجاهد عزّ الدين الذي هو عالماً [1] بأنّ النكاح مندوباً [2] اليه ، ومحثوث من الشارع عليه ، وانه محصل لأسباب التحصين والعصمة ، وجامع لأسباب المودّة والرحمة ، وسبب التعاصر والتناصر ، ومقصود به التناسل

(١) و (٢) هكذا في الأصل والصواب عالم ومندوب

والتكاثر ، رأى المصلحة في تحصيل هذا المندوب ، ويجوز لنفسه هذا المطلوب ، وعزم على تزويج من ندب الشرع الى تزويجها ، والاتصال بها ودوام مصاحبتها ، وهي عقيلة ذات الدين والعقل والجمال ووُصفت بكمال الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة ، وربيت في حجر النعمة الشاملة ، والدها من أكبر الأمراء قدراً وأسخاهم كفاً ، وأكملهم وصفاً ، وهو الأمير الكبير ركن الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف ، ومن هو بمكارم الأخلاق الدينية موصوف ، فالله يقرن هذا العقد بالسعادة والتوفيق ، ويجريه على أحسن طريق ، وكان مما سورع اليه ، ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى خصوصاً ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وحسبنا الله ونعم الوكيل .

هذا كتاب عقد ، وسيمة ود ، وتجديد عهد ، وعزم مبارك ، وساعة سعد ، واتفاق في الأمور ، وائتلاف في الصدور ، اكتتبه الأمير الأجل الكبير الأخص الأعز المجتبى المختار الموفق السعيد عز الدين أفرون ابن الأمير الأجل الكبير المجاهد المرابط الموفق السعيد تاج الدين متوح ابن الأمير الأجل الأكمل المجتبي المختار شرف الدين محمود ابن الأمير الأجل الكبير المجتبي المختار المجاهد المرابط الثاغر الأخص الأعز الأكمل المؤيد كنز العشائر فخر الدين أبي المنصور مالك ابن الأمير الكبير المجاهد المرابط المجتبي المختار تاج الأمراء فخر العرب صارم الدولة وعسكرها أبي عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهمام كنز الدولة وفخرها سيف الدولة أبي الفتح نصر ابن الأمير المخلص المنصور المؤيد عصمر الخلافة عز الملك تاج الدولة فخر العرب كنز الدولة وعهدتها ابي اسحاق ابراهيم ابن صارم الدولة أبي الحسن علي ابن الأمير حسام الدولة أبي العز متوح ابن الأمير كنز الدولة ابي المنصور محمد ابن الأمير كنز الدولة ابي المكارم هبة الله بن محمد بن علي ابن يوسف بن اسحاق بن ابراهيم بن مسروق بن مسمع[1] بن معدي كرب بن الحارث

(١) في الأصل تقرأ مِسمع ومُسمع وكلاهما باضافة أداة التعريف أبو قبيلة .

ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدئل[1] بن حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعما[2] بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن معد بن عدنان بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرة المكنونة المرأة المالكة أمر نفسها المدعوة ام الخير ابنـة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير الأجل الكبير المحترم شجاع الدين ابن الجناب المولوي الآمري الأجلي المجتبى المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك النسب المذكور ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله سبحانه وتعالى وعونه ، وحسن توفيقه وظنه ، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم صداقاً جملته من الذهب العين المثاقيل الوازن المصري مائتا دينار حالاً ومؤجلاً فالحال من ذلك خمسون ديناراً أقرت الزوجة المذكورة بقبضها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطاً لها عليه في سلخ كل سنة تمضي من تاريخ العقد بينهما وهو الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتي واربعين وسبعمائة عشرة دنانير والله ولي المتقين .

وولي تزويجها والقيام بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الفقيه الامام العالم الكامل صدر المدرسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين أحمد بن نجم الدين عبد القوي القرشي الحاكم يومئذ بثغر أسوان عن الناظر في الحكم العزيز بالأعمال القوصية أدام الله سعادته باذنها له في ذلك نسيها الأنسب سيضع خطه فيه في ذلك ان وضح خلو الزوجة المذكورة من موانع النكاح الشرعية أجمع وان الزوجة المذكورة يومئذ حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن فحينئذ أمر بكتب هذا الصداق فكتب وزوجت من وكيله أحمد بن منبه بن عبد الله على الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

(١) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبل هذا الدؤل

(٢) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبله دعمي

هذا النكاح لموكله قبولاً شرعياً بثغر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهور سنة أربعين وسبعمائة .

حضرت العقد المذكور وشهدت
على سيدنا ومولانا أقضى القضاة
حاكم المسلمين زين المدرسين
علم العلماء المعتبرين نجم الدين
الحاكم المزوّج والوكيل القائل
بما نسب اليها فيه في تاريخه
كتبه خليل بن عيسى عريس
عفا الله عنهم

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أقضى القضاة
رئيس المدرسين مفيد الطالبين
أبي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاه والمزوج والوكيل القائل
بما نسب اليها فيه في تاريخه
محمد بن عمر بن علي القرشي

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أقضى القضاة
صدر المدرسين مفيد الطالبين
ابي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاه المزوج والوكيل القائل
بذلك والزوجة بما نسب اليها فيه
في تاريخه المذكور اعلاه
كتبه صالح بن احمد بن محمد بن علي

عبد الله مخلص

الطرافة والابتذال

في الأدب العربي

(توطئة)

ليس كل ما كان جديداً في الأدب يستحق ان يحسب طرفة أو تحفة فقد يكون الجديد قبيحاً إما لخطأ فيه واما لنبو الطبع والذوق عنه واما لمخالفته الطابع العربي في كيفية الاداء والترتيب . ومما تلجأ اليه طائفة من أدباء العرب في نهضتنا الحديثة اتباع اوزان شعرية جديدة تشبه بعض الشبه نوعاً من الموشحات ولكنها ليست اياها ومن العسير ضبطها تحت أحكام معينة . هذا النهج الجديد يولع به انصاره بقصد الاغراب وادخال الدهشة على الآذان والأذهان آملين ان تجر الدهشة الى اعجاب واستحسان وهو امل يتحققونه في نفوس ضعفاء القراء ولكن هيهات ان ينال منالاً من نفوس اقويائهم . لأن القوي لا تهمه هذه الظواهر والزخارف بل يغربل ما يقرؤه ثم ينخله وينظر الى ما فيه من لباب لا من قشور متكاثفة وعلى هذه الصورة يصدر حكمه بجودة هذا الشعر الجديد أو برداءته . فمن اراد من أدباء العصر مواراة عجزه وتقصيره بهذه المستحدثات فاهمسوا في أذنه قائلين انها لا تحول دون نظر اهل الحصافة والخبرة . وحكم كل خبير يصدر عليه يفوق عشرة آلاف حكم من غير الخبراء الذين يحكمون له .

ثم ليس كل ما كان مطروقاً في الأدب يستحق ان يحسب مبتذلاً مستهجناً فقد يكون المطروق ضرورياً لايضاح ما اكتنفه من الكلام . وقد يكون مقبولاً محتملاً مماشاةً لسياق الحديث في سذاجته وصراحته . وهذا المطروق الساذج مغتفر بشرط ان لا يزيد على خمس القصيدة فان زاد فالقصيدة ليست بذات درجة عالية .

هذه تنبيهات اجمالية يجب ان لا يغفل عنها العاقل المنصف . ولكن ليس من حق هذه التنبيهات ان تجاوز حدودها فتخدع اذواقنا وبصائرنا وتخلط علينا بين المحاسن والمساوئ .

ومن اسرار البلاغة ومعادنها الفياضة تناول المعنى التافه وتزيينه من بعض نواحيه او تناول الفكرة المجملة وتفصيل شيء من زواياها . او الخاطر الناقص وتكميل نقصه . الى ما يشبه هذه التعديلات مما سميته توليداً في كتابي « كفيل البيان والشعر » وأوردت عليه مُثُلاً جمة مقتلعاً المعنى الأصلي من جذوره فإذا به مبتذل حقير في اصله حتى اذا عولج بأحد هذه القوالب أصبح مبتكراً باهي الجمال أو قريباً من قمة الابتكار . فالتوليد اذن منجم عميق رحب من مناجم حسن القول وأسرار البلغاء . ولا يليق بي ان أعيد هنا ولو باختصار ما تناولته هناك . بل أنوي الساعة ان أدل القارئ على منجم ثانٍ يتاخم طريقه طريق المنجم الأول وقد يتشابك الطريقان . ويمكنني ان اسمي هذا المنجم الجديد تنزهاً كما سميت ذاك توليداً وهو خير مرآة لوجوه الطرافة واختلافها عن وجوه الابتذال مما جعلته عنواناً للبحث الحاضر .

التنزه الأدبي اجمالاً

الذي أريده بالتنزه الأدبي الترفع عن مستوى منخفض الى مستوى أعلى مما ينطبق على الوضع اللغوي من لفظ التنزه ومعناه التباعد كما ينطبق على معنى له آخر شائع بين العامة والخاصة اي طلب النزهة في بستان او روضة أو رابية جميلة أو وادٍ ظليل او حقل ناضر او مرج بهيج الى ما شاكل ذلك . فكلا المعنيين من لفظ التنزه يلائم التشبيه المقصود بالانتقال من معنى مبتذل الى معنى طريف مستعذب . وللمجيدين من شعراء العرب في هذا الميدان قدم راسخة وباع طويل وأدل الدلائل على قدرتهم الشعرية واتساع مدى تصورهم وتفكيرهم انهم لم يقنعوا بالمعاني والتشبيهات التي طرقها كثيرون قبلهم عند ذكر ما كثرت إلفتهم

له من شمس وقمر وغيث وجبل وهواء وبحر ونحوها . بل تجاوزوا ذلك القديم المعتاد المطروق الى معانٍ جديدة ومناسبات لطيفة لا يتنبه لها الا امثالهم من فحول الشعراء وهم قليلو العدد في كل عصر وكل مصر . وهذا الذي انوي التصريح عليه في ما يلي من الشواهد الشعرية متعلقة بالشمس والقمر والنجم والغيم والمطر والطل والهواء والأرض والبحر والغدير والبئر والجبل والوادي والليل والتراب والناس وحديثهم ودموعهم وتبادلهم التحيات والسيف والرمح والسهم والحياة والموت . فان جميع هذه المحسوسات المشاهدات وجدنا لها في قرائح الشعراء المفلقين حيزاً جديداً جميلاً لا عهد لنا بمثله عند غيرهم . فقلما يرضى احدهم بالاقتصار على هداية النجم وبهاء القمر وعلو الشمس واتساع البحر ومضاء السيف الى آخر ما هنالك من المعاني المتداولة بل يستخرج لكل منها معنىً آخر طريفاً ومناسبة لطيفة . وقد حان لنا ان نسرد ذلك سرداً قريب المأخذ سهل المنال .

شواهد التنزه الأدبي في المحسوسات العلوية

اراد ابو تمام وهو حبيب بن اوس الطائي ان ينزه قريحته ويدفعها عن الالمام بضياء الشمس او رفعتها او تأجج نارها او تعميم فضلها على المخلوقات فالتفت الى ناحية جديدة ورأى ان الشمس تستحبها النفوس وان لم تحاول هي احراز هذه المحبة فقال في وصف حبيبته الحسناء :

هي الشمس يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تَوَدَّدِ

تودد بفتح التاء وأصلها تتودد . وحذف احدى التاءين بقصد التخفيف قياسي في مثل هذا الموضع وقد وفق ابو تمام الى نهج جديد آخر في التشبيه بالشمس حين أراد حض الناس على الهجرة والاغتراب استزادةً لأرزاقهم وقوتهم المعنوية فقال:

وطولُ مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجـدّد

فاني رأيتُ الشمس زيدت محبةً الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ولم تطب نفس ابي بكر الخوارزمي حين تصدى للتنويه بفضل احد اصدقائه

في ان يجعله عالي المقام كالقمر او مشرق الخصال والمبادئ مثل نور القمر مما هو رث قديم بال بل تنزه عن ذلك الى معنى جديد ابتكره في ايجاد وجه شبه بين ممدوحه والقمر فقال ان صديقه يتفقد اخوانه في اكثر الأحيان عندما يكون على سعة من العيش فان اعتراه عسر وضيق قلل من مخالطتهم والاجتماع بهم شأن القمر في طول مدة بروزه للبشر عندما يقوى نوره فان ضعف نوره وهو في أوائل الشهر القمري او اواخره لم يبرز لعيون الناس الا مدة قصيرة · وهذا الذي قاله الخوارزمي :

رأيتك ان ايسرتَ خيمتَ عندنا لزاماً وان اعسرت زرت لماما

فما انت الا البدر ان قل ضوؤه ألمَّ وان زاد الضياء اقاما

ولم يقصر عن هذه الطرافة شاعر آخر اراد معاتبة صديق له ارتفع منصبه فأخذ يظهر له جفاءً وفتوراً فقال فيه الشاعر الجفو :

سألت الله ان تسمو وتعلو علوَّ النجم في كبد السماء

فلما أن علوت بعدتَ عني فكان اذنْ على نفسي دعائي

ومعلوم ان علو النجم في كبد السماء معنى مبتذل لم يكن لذلك الناظم فضل في الاشارة اليه وانما ظهر فضله وذكاؤه في كيفية الانتفاع بهذه الناحية المبتذلة حين شبه ابتعاد خليله عنه بعد ارتفاع منصبه بابتعاد النجم عن عيون الناس · وازداد شعره حسناً بما ذكره من سابق دعائه الصالح وكيفية انقلابه عليه شؤماً وحرماناً ·

وقال كمال الدين بن النبيه في وصف كوكب الصبح :

وكوكب الصبح نجابٌ على يده مخلَّق تملأ الدنيا بشائره

وهو وصف جديد جيد للكوكب المذكور لايتعب الذهن في استحضار صورته · وقد قصرت عن ذلك همة غيره من الشعراء فاكتفوا بما ألفوه وتوارثوه من التشبيهات · وأراد بقوله مخلق طرساً مخلقاً او كتاباً مخلقاً أي مضمخاً بالخلوق بفتح الخاء وهو نوع من الطيب يكثر فيه الزعفران ·

وقال مروان بن أبي حفصة في رثاء الأمير الشيباني معن بن زائدة ذاكراً وجه شبه للمطر :

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد الغيث مجراه مرتعا

وقد تعودنا ان نرى الشعراء يشبهون ممدوحيهم بالمطر في غزارة هطله وضمانه للخصب والخير . فانتقل ابن ابي حفصة من هذه الناحية الى ناحية جديدة قائلاً ان الأمطار قد تزول وتبقى آثار خيرها في المغارس والمزروعات وهكذا كان الأمير المرثي معن بن زائدة .

وقد عهدنا الشعراء يذكرون أوجه شبه متعدد للغمام من تبشيره بهطول الغيث أو من علوه في الجو او من اطراد سيره بين البطء والسرعة الى غير ذلك مما قرع الاسماع كثيراً ولكن شاعرية كثير عزة لم تقنع بهذه المعاني المبتذلة بل التفت الى ظل الغمامة ورأى خيبة من يعوّل عليه ويحاول ان يقبل ان ينام نومة الظهيرة في هذا الظل فقال متصدياً لذكر مقاطعة بينه وبين محبوبته عزة مما كان يحز في صدره :

واني وتهيامي بعزة بعدما تخليت عمـا بيننا وتخلت

لكالمرتجي ظلّ الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وذكر احد قدماء الشعراء الرياح مشيراً الى حالة دقيقة من حالاتها اذ قال ان الرياح اذا تناوحت اي هبت من نواح مختلفة الصقت بجسم حبيبته الحسناء اجزاء ثوبها بحيث تظهر محاسن جسمها في تركيبه الطبيعي الجميل فتستثير حسد النساء لها وغيرة العاشقين عليها . وهذا الذي قاله الشاعر والشاهد في البيت الثاني . وفي البيتين رشاقة اداء وبلاغة المجاز :

ابت الروادف والثدي لقمصها مسّ البطون وان تمسّ ظهورا

واذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدةً وهجن غيورا

شواهد التنزه الادبي في المحسوسات الارضية

من المعاني المستحدثة قول بعضهم في الأرض :

سألت الأرض لِمْ كانت مهاداً ولِمْ جُعلت لنا طهراً وطيبا
فقالت غير ناطقة لأني حويتُ لكل انسان حبيبا

وقال الأمير ابو فراس الحمداني في التراب . والشاهد في البيت الثالث :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خرابُ
اذا صح منك الود ياغاية المنى فكل الذي فوق التراب ترابُ

واستخرج بعضهم معنىً شعرياً علمياً قائلاً ان السحاب لا فضل له على البحر لأنه اتخذ قطراته من قطرات البحر المتبخرة . فشبه بهذه الحالة حالته باهدائه الشكر الى المتفضلين عليه حيث قال :

أهدي له حسن الثناء وانما أهدي له ما حزتُ من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

واشار احد الشعراء ضمناً الى البئر — وأظنه ابا الأسود الدؤلي واضع علم النحو — فقال ان البئر قد تملأ الدلو ماءً زلالاً صافياً وقد تملأها وحلاً يخالطه شيء يسير من الماء بحيث يمكن تصفيته والانتفاع به . مشبهاً بهذا المعنى الطريف سعي الانسان لمعيشته فيكون نصيبه الفلاح التام تارة ، وشيء زهيد من الفلاح تارةً أخرى ، قال :

وما طلب المعيشة بالتمني ولكن الق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بحمأةٍ وقليل ماء

وفي ذكر الجبل قال أحد الشعراء :

ويا جبلي نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص اليَّ نسيمها

وقال آخر ذاكراً الليل وما فيه من حيرة وعجز عن دفع الضيم :

كالسيل في الليل لا يدري به احد من اين جاء ولا من اين يأتيه

وأحسن من هذه الاشارة الى الليل ماقاله ابو الطيب المتنبي في معرض تغزل وتشبيب :

وكم لسواد الليل عندي من يدٍ تخبر ان المانوية تكذب

أراد بالمانوية الملة المانوية نسبة الى مؤسسها ماني الفارسي ومن عقائدهـا الجوهرية ان الظلام هو إله الشر .

وقد ذكر النابغة الذبياني الليل أيضاً اعتذاراته الى ابي قابوس النعمان فقال :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ُأن المنتأى عنك واسع

وعدل بعضهم عن وصف السيف بالمضاء والافناء الى ذكر حالة أخرى من أحواله قائلاً :

كذا السيف ان لاينته لان متنه وحداه ان خاشنته خشنان

وفي ذكر السهم قال الأمير ابو فراس الحمداني واصفاً احدى المعارك :

ولما سار سيف الدين ثرنا كما هيجت آساداً غضابا

وكنا كالسهام اذا اصابت مراميهـا فراميهـا اصابا

ان هذا البيت الأخير من أدل الأبيات على قوة شاعرية الناظم وجودة تصوره . فقد عهدنا الشعراء يشبهون صاحب العزم بالسهم جاعلين المضاء والنفاذ وجه شبه . وهو وجه حسن لا بأس فيه . ولكن همة ابي فراس لم تقنع به لكثرة ما استعمل حتى ابتذل وسئمته الاسماع او كادت تسأمه بل التفت الى وجه جديد ادق وابعد غوراً فقد قصد في بيته المذكور انه لم يكن شيء يعوقهم عن الظفر بالأعداء الا عدم لقائهم فلما لقوهم أصبح النصر محققاً وكان مثلهم مثل السهام فبمجرد وصولها الى هدفها تفعل فيه فعلها الرهيب ويكون راميها قد أصاب . فالبيت يحسب من معجزات الايجاز .

شواهد التنزه الادبي

في الناس وبعض شؤونهم

لقد حلق في الطبقة العليا من جو الفضيلة والانسانية من أوصى الانسان ان يعد البشر كلهم احباءه والأرض على رحب أقطارها داراً له ومأوى وملجأ أميناً من قال :

تصوّر الناس كلهم سكناً ومثل الأرض كلها دارا

والسكن بفتح الكاف هو الحبيب الذي تسكن اليه نفسك اي ترتاح اليه ·

وقال أبو الطيب المتنبي في دموع الحب :

أينكر خدي دموعي وقد جرت منه في سلك سابلِ
أأول دمع جرى فوقه وأول حزن على راحلِ
ولو زلتم ثم لم ابككم بكيتُ على حبي الزائلِ

وقال أحدهم في العيش :

ما العيش الا ان تحب وان يحبك من تحبه

وقال المتنبي في الموت :

ألف هذا الهواء اوقع في الأنفس ان الممات مرُّ المذاق

وقال فيه أيضاً :

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموتَ جبانا

كلمة ختام

ان هذه النماذج الشعرية فضلاً عما اشتملت عليه من طائفة طيبة تنبطن فائدة جليلة لكل أديب ومتأدب اذ تنبه ذهنه وتدله على كثير من الطرق في اجتناب المبتذلات والارتقاء الى سدة الطريف المستعذب في المعاني وأساليب الاداء وقد لا يقل الأسلوب مقاماً عن جوهر المعنى المقصود · ومعلوم ان

ناحية واسعة من منثور القول وهي الناحية الحاوية لموضوعات ألفها الشعر والشعراء تدخل تحت هذا الحكم وهذه النظرية ·

لحري بحزب الأدب واعوانه وخدامه العاملين في حقله ان يناقش كل منهم نفسه ادق مناقشة حين يؤدي قولاً منظوماً أو منثوراً لكي يتجافى به عن مواضع الرثاثة والابتذال ويسير قاصداً ردهة الاجادة فان لم يبلغ صدرها ولم يتوسطها فالأرجح انه لا تفوته عتبتها ومن ثم ينصف نفسه ويصون كرامته ويرضي القراء والسامعين اذ يعفيهم من السآمة والملل في الاصغاء الى قناطير من الكلام ليس تحتها شيء من الفائدة واللذة او تحت تلك القناطير درهم منها أو درهمان · ولعمري لا ادري لماذا لا يتحمل الأديب من الوقت والعناء في نظم أبيات يسيرة ما تعود ان يتحمله في نظم خمسين او ستين بيتاً · فلو اتخذ أولئك المكثرون المقصرون هذه الخطة في الاقلال من النظم مع زيادة اجتهاد فيه وعناية به لرأينا المجيدين من الناظمين حوالينا يزيدون على خمسين في المئة مع انهم في حالتهم الحاضرة يقلون عن عشرة في المئة · ويارحم الله القائل :

والناس مثل بيوت الشعر كم رجل ... منهم بألف وكم بيت بديوان

(اللاذقية) ادوار مرقص

———

على هامش النثر الفني

الاعجاب بالنفس أخطر ما يصيب الباحث المفكر لأنه يخيل اليه التفوق والنبوغ ، ويزين له الغرور بما يكون منه من عمل ، والفتون بما يرى من رأى أو يلفظ من قول . وكلما تتابعت الأيام تمكن منه ، وغلبه على عقله ، وران على فكره ، وغطى على بصره ؛ فلا يبصر الا محاسنه ، ولا يفكر إلا في عظمته ، ولا يعقل إلا ما يتصل بهذه المحاسن وتلك العظمة من قريب أو بعيد . ومن هنا كانت خطورته على المفكر لأنه ليس كغيره من الناس يفكر لنفسه ويحبس عليها تفكيرها أو يذيعه في تلك البيئة اليسيرة القصيرة التي تحيط به من المعارف والأصدقاء ؛ وانما هو مولع بالتفكير للناس لا يكاد ينتهي الى رأي في العلم ، أو نظرية في الفن ، أو نظرة عابرة فيما دون ذلك إلا وهو آخذ بأسباب اذاعتها ، عامل على نشرها بين الناس جميعاً ، لا يهدأ له بال ، ولا يطمئن له خاطر حتى يعرض فكره وعقله وقلبه ويظهر الناس على ما كان يعتلج فيها من أسرار ، ويتلج من آراء ، ويضطرب من مشاعر . فاذا لم يأخذ الباحث حذره من شيطان الاعجاب ويتهم نفسه في رغائبها ، ويجادلها عن منازعها ؛ ويفاتش ضميره جاهداً ، ويراجع عقله ، ويقايس بين أفكاره حتى يميز الخبيث من الطيب أهلكه الاعجاب ، وأخمل ذكره ، وعرّضه لألوان من النقد اللاذع ، وفنون من التهكم المرير لا قبل له بتحملها ، ولا صبر له على بأسها ، وان بأسها لشديد ، والحق الذي لا مرية فيه ان الوان الخطأ التي يدفع اليها الاعجاب على عظمها وغرابتها ما كانت لتقع لو لا تلك الحجب الكثيفة التي يضربها على العقل ، ويحول بها بين المرء

وقلبه . لا تكاد الفكرة تطرق ذهن المعجب بنفسه حتى تستحيل الى رأي ، ولا يلبث الرأي حتى يستحيل الى عقيدة تملأ مسارب النفس ، وتأخذ بمسالك الوجدان فيعتنقها ويجادل عنها ما وسعته المجادلة وأمده البيان ، وان كان خطؤها بادياً للعيان لأنها وليدة الاعجاب الفتان .

ومن هذا القبيل تلك الفكرة التي اعتقدها الدكتور زكي مبارك في أبي حيان التوحيدي ، وكانت مبعث خطئه في احكامه عليه . اعتقد انه رجل أنشأه الحقد على الموهوبين من أهل العلم والأدب والجاه ، وأديب متشرد أفاق يرجع نبوغه الى حسده وحقده وثورته على الحياة والأحياء . وهو فوق هذا وذاك مفتر كذاب . أنطق معاصريه بما شاء من الأقوال والآراء ، وسجلها في كتبه معزوة لهم زوراً وبهتاناً . وانه لصاحبها ومختلقها فعليه وحده تقع تبعتها ، واليه يرجع نقد الناقدين ، وطعن الطاعنين وفي ضوء تلك الفكرة أو في ظلامها كتب الدكتور ما كتب عن أبي حيان ، وحكم عليه بما حكم فجاءت أحكامه بعيدة عن الصواب بعد الفكرة التي صدرت عنها . حكم الدكتور على التوحيدي بأنه متحامل على معاصريه وضرب لذلك أمثالاً لا تؤيد حكمه ، وانما تؤيد ظلمه العنيف له وقسوته عليه . ومن ذلك ما كتبه في ترجمة أبي عبد الله المرزباني (٣/ ١٢) : « كان معروفاً بسعة المعرفة وكثرة السماع ، وكان معاصروه يرونه من محاسن الدنيا ، ومنهم من يقدمه على الجاحظ . ولعل ذلك هو السبب في تحامل بعض المغرضين عليه [كأبي حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بابن شاذان وابن الخلال ممن كان لهم جمع ورواية وليس لهم فيما جمعوه نقط ولا إعجام ، ولا إسراج ولا إلجام] » ومن المدهش حقاً ان الدكتور ينقم على التوحيدي هذا الرأي ويتهمه من أجله بالتحامل ، ثم لا يلبث الا قليلاً حتى يعرضه علينا على انه رأيه الذي ارتآه بعد طول البحث وكثرة المراجعة كتب في (ص ١٢٣) في نقد بعض كتب المرزباني يقول : « وبعد المراجعة المتعددة لم نظفر بما يميزه عن غيره من مصنفي الروايات والأخبار » .

وليس بين الرأيين من فرق إلا ان الثاني نفس الأول وقائله الدكتور فهو وليد الانصاف وحسن النية . وصاحب الأول ابو حيان فهو إذاً دليل التحامل وسوء الطوية . ومن ذلك ما كتبه الدكتور في ترجمة ابن مسكويه (١٤٦/٢) :

« قد أولع التوحيدي بمهاجمة ابن مسكويه . ورماه بمدح الجود باللسان ، وايثار الشح بالفعل ، وادعاء الحكمة ، والتكلف في الأخلاق . ولننظر كيف يقول : قال لي مسكويه مرة : أما ترى الى خطأ صاحبنا ابن العميد في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة ! لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق . فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ ، اني أسألك عن شيء واحد فاصدق فانه لا مدب للكذب بيني وبينك : لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحق المال ؟ أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل ، وليته أربى عليه ! فان كان الذي تسمع على حقيقته فاعلم ان الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف وتختار المختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على سرك وشرك » طار الدكتور فرحاً بهذا الحديث ونقله مرتين (في ص ١٣٧ وفي ص ١٤٧) وعقب عليه في الأولى بقوله : « ولو انه حاسب نفسه بمثل ما حاسب به ابن مسكويه لرأى ثورته على أهل زمانه تأخذ وقودها من قلب حاسد حقود » وعقب في الثانية بقوله : « ونحن نعرف سر هذا التحامل من جانب التوحيدي ، فقد كان شديد الحقد على المجدودين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والرؤساء . ولنا أن نضيف الى ذلك نجاح ابن مسكويه في حياته العملية فقد كان الرجل فيما يظهر متين الأخلاق ، ومتانة الخلق قوة مرعبة يرعد لها الأدباء المساكين الذين ابتلوا بالطمع في هدايا الملوك والوزراء وألفوا التزلف والتودد الى أقطاب المال والجاه . والأديب الذي يعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية يعيش

في الأغلب غريباً بين معاصريه من الأدباء ، فليس عجيباً أن يتحامل أديب متشرد أفاق كالتوحيدي على أديب موفق مطمئن يعيش كابن مسكويه . ولو شئنا لأضفنا نزعة ابن مسكويه الفلسفية فهي كذلك من أسباب حقد التوحيدي عليه فقد كان التوحيدي واسع الثقافة إلى حد مدهش ، وكان يطمع في التفرد بالسمعة العلمية والأدبية والفلسفية بين رجال ذلك العهد » . ليس فيما قاله أبو حيان لابن مسكويه وهو يحاوره في جائزة ابن العميد تحامل دفعه اليه الحسد والحقد كما يقول الدكتور ، وانما فيه الصدق والانصاف اللذان يحمد عليهما أجل الحمد . أما الصدق فلأنه صارح ابن مسكويه برأيه ، وأبان له خطأه في لوم ابن العميد على إجزال عطيته لمن رآه أهلاً لها وأما الانصاف ففي دفاعه عن تصرف ابن العميد مع ما بينهما من ألوان العداء وصنوف الشحناء وان كان هناك حسد وحقد فيجب ان يوصف بهما ابن مسكويه الذي حسد صاحب الجائزة على جائزته ، وثارت ثائرته على صاحبه ابن العميد ونال منه على ما بينهما من صفاء وولاء . ومع هذا يصفه الدكتور بأنه متين الاخلاق ! ويصف التوحيدي بالحسد والحقد والتحامل ! وهذا تحامل عنيف ، واسراف في اختلاق المحاسن والمساوئ وتوزيعها وفق ما تشتهيه النفس المغرضة ، ويمليه الهوى الجموح . وقد دفعه تحامله الى ان يصف التوحيدي بأنه أديب متشرد أفاق ألف التزلف والتودد الى أقطاب المال والجاه قد تحامل على ابن مسكويه لأنه أديب مطمئن العيش قد اعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية ولم يطمع في هدايا الملوك والوزراء . وليس ذلك من الحق في شيء فقد تزلف ابن مسكويه وتودد الى أقطاب المال والجاه ، وعاش ما عاش على مال الأمراء والوزراء الذين صحبهم وعمل لهم : خدم الوزير المهلبي ولما توفي سافر الى ابن العميد وظل في خدمته حتى قضى نحبه فاتصل من بعده بابنه أبي الفتح ابن العميد ، ولما دالت دولته سارع الى عضد الدولة بن بويه وهكذا كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات

في خدمة الأمراء والوزراء . فلا يَفْضل أبا حَيان من تلك الناحية ولكن الهوى الغلاب يسبغ على من يشاء ما شاء من الصفات والميزات وان لم تثبت للنقد إلا بمقدار ما يلقفها . ولعل أعظم دليل على إغراق الدكتور في التحامل على ابي حيان وإسرافه في ظلمه ما عقب به على رأي ابن خلكان الذي نقله عنه (١٩٦/٣) روى ابن خلكان ان ابن نباتة السعدي مدح ابن العميد بقصيدة مطلعها :

برح اشتياق وادكار ولهيب أنفاس حرار

ولما تأخرت صلته عنه شفعها بأخرى ، وأتبعها برقعة فلم يزده على الاهمال فضاق بذلك ذرعاً ودخل عليه فأغلظ له القول حتى قال له : إن الغني إذا مطل لئيم فغضب ابن العميد وقال : ما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كلفتك تقريظي . فقال : صدقت أيها الرئيس ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت : لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ، ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة ... فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال . فثار ابن العميد مغضباً ، ولما سكت عنه الغضب التمسه ليعتذر اليه فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها . قال ابن خلكان بعد ذلك : « ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين الى غير ابن نباته ، وكشفت في ديوانه فلم أر هذه القصيدة فيه ، ثم وجدت في كتاب مثالب الوزيرين لأبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السياب اللغوي المنطقي الشاعر ، وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بوته والله أعلم » وعقب الدكتور على هذا بقوله : « ونحن نأسف على أن لم نتمكن من الاطلاع على مثالب الوزيرين ولو أتيح لنا الاطلاع عليه لاستطعنا تخطئة ابن خلكان فاننا نجزم جزماً قاطعاً أن هذا المجلس من صنع التوحيدي ، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية فانا نعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبناه وعاشرناه . ولو ألقيت جملة من كلامه في أكداس من الورق لميزناها

لأول نظرة ، فليكن الشاعر من يكون ، وليكن المخاطب من يكون فان واضع المجلس هو التوحيدي على كل حال . ولا يبقى الا أن نرجح أنه أداره على ابن العميد لا على غيره لان هذه الحفيظة ما كانت لتثور في هذه القوة على رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثلبه وتجريحه حيناً من الزمان » ولست أدري ما الذي يستفيده الدكتور من الاطلاع على هذا الكتاب في تخطئة ابن خلكان ولا في ماذا يخطئه ؟ أيكذبه في أنه رأى القصيدة فيه منسوبة لابن السياب اللغوي والمخاطبة للشاعر الكرخي ؟ لا سبيل الى تكذيبه في ذلك ففي ماذا يخطئه إذن ؟ لست أدري وأعتقد ان الدكتور نفسه لا يدري ! ثم يجزم الدكتور جزماً قاطعاً بأن المجلس من صنع التوحيدي مع اعترافه الصريح بأن نسبته إليه لم تصح بطريقة علمية ! وهذا دليل وهاج على ان الدكتور لا يقيم للعلم وزناً ولا يسلك سبيله إلا إذا وافق ما يزينه شيطان الاعجاب ، أما إذا خالف عن أمره ، ولم يؤيد منطق الهوى فانه يتنكبه فخوراً ، ويتبع الظن الذي يغني — عنده — عن العلم والحق كل الغناء . ولا تثريب عليه من متابعة هذا الظن الذي يناهضه العلم ولا يقره بحال من الأحوال فانه — بزعمه — يعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبه وعاشره ، ومن أدرى بالصاحب من صاحبه ، وأعرف بالعشير من معاشره . ولو كان لهذا الادعاء العريض نصيب من الصدق لما أسرف في ثلب أبي حيان ووقف منه موقف العدو الذي لا يرقب في عدوه إلا ولا ذمه ، ولو راجع عقله ، وفاتش ضميره ، ونهى النفس عن الهوى لقضى في أمره بالحق والعدل كما يصنع العلماء المنصفون .

(القاهرة)

السيد أحمد صقر
المدرس بمدرسة الليسيه الفرنسية
بمصر الجديدة

مخطوطات ومطبوعات

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ

القسم الرابع — المجلد الأول طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

في القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ ١٩٤٥ م في ٣٣٨ صفحة

لا تزال كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول توالي نشر أجزاء كتاب الذخيرة بعناية لا يصدر مثلها عن غير أساتذة محنكين . ويحتوي هذا الجزء على سيرة أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ونثره وشعره وأخباره مع المنصور بن ابي عامر واخبار ابي مروان عبد الملك بن شهبة وأخبار دولة ابن ابي عامر وابنه بعده واخبار محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي وسليمان بن محمد الصقلي وثابت بن محمد الجرجاني وعبد العزيز بن محمد السنوسي الى امثالهم من العلماء الطارئين على الاندلس من المشرق وغيره وفي هذا الجزء أيضاً جملة من أخبار بني ذي النون وسيرة محمد بن شرف ومنثوره ومنظومه وأخبار ابن السقاء القرطبي وشعره وأبي الحسن علي بن عبد الغني الكفيف المعروف بالحصري .

وفي هذا الجزء وصف إعذار (ختان) حفيد المأمون يحيى بن ذي النون ومما جاء فيه في اكرام الطبقات في هذا الحفل : « ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم الى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرش ايضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة فأخذوا مجالسهم منه وناولهم الوصفاء الطائفون بهم رفيع النقاوات والذرائر المطيبات في الأقداح والأشناندانات الفضيات المحكمة الصناعات كادت تغنيهم بطيبها عن الغسل ثم أدني اليهم إثر ذلك الوضوء في

أباريق الفضة المحكمة الصنعة يصبون على أيديهم في طسوس الفضة المماثلة لأباريقها في الحسن والجلالة فاستوعبوا الوضوء وأوفيت من أيديهم مناديل تتضاءل لها ما عليهم من سنيّ الكسوة ثم نقلوا الى مجلس التطييب افخم تلك المجالس وهو المجلس المطل على النهر العالي البناء السامي السناء فشرع في تطييبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي المشوبة بقطع العنبر الفستقي بعد ان نُدّيت اعراض ثيابهم بشآبيب ماء الورد الجوري يُصب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المجدود ، وفيّاشات البلور المحفورة ثم أدني اليهم قوارير المها المحكمة الصنعة الرائعة الهيئة قد أترعت بالغوالي الذكية ، النامة بسرها قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك التبتيّ ومحض العنبر المغربيّ ، لاءم بينهما رشح البان البرمكي فتناولوا من ذلك حتى لاقطر سبالهم ذوبانا ، واعادت شيبهم شبانا فلما استتم هؤلاء الخلة نعم يومهم من طعمهم وطيبهم أقيموا للدخول على المأمون ... ثم وصف القصر والأبهاء ، ومافيها من صور ونقوش . قال ابن حيان (مؤرخ الأندلس) : وذهب المأمون الى تتميم تكريم زواره من رجال الأمراء الذين استحضرهم يومئذ لشهود فرحته ، بمشاهدة مجلس خلوته ، وتنعيم اسماعهم بلذات اغانيه ، وقد علم ان فيهم من يُرخص في النبيذ ولا يسوغ لهم نعيم دونه ، فاحتمل حرج ذلك مبالغة في تأنيسهم ، فاحتفل لهم في مجلس قد نُضد وأُحضر فيه جميع آلات الأنس ، فلما استوى بالقوم مجلسهم واشرأبوا الى الأخذ في شأنهم ، قرّب اليهم أطعمة تنورية ، جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص والأشربة والطباهج ، موائد مترعة اتخذوها بُسطًا لنبيذهم ، ثم انثنوا الى الشراب ونفوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الغناء لأهل الحجاب ، ونظمت نوبة المغنين زمراً فهاجوا الإطراب واستخفوا الألباب ونقلوا الطباع فجاءوا بأمر عجاب ...

محمد كرد علي

يوسف شلحت : علم الاجتماع الديني

قد يكون من الصعب جداً في الوقت الحاضر ان يؤلف العلماء كتاباً في علم الاجتماع العام مستوفياً جميع الشروط العلمية الصحيحة . وقد يكون أصعب من ذلك ايضاً ان يضعوا كتاباً صحيحاً مضبوطاً في علم الاجتماع الديني .

والسبب في ذلك ان حقائق علم الاجتماع لم تصبح بعد نهائية كحقائق العلوم الرياضية والطبيعية . فاذا اراد العالم ان يعرض مسائلها بأسلوب علمي واضح ، ويرتب مبادئها وقوانينها ، لقي في ذلك عناء كبيراً لفقدان كثير من الحلقات المتوسطة ، ولعدم استقرار الحقائق الاجتماعية على شكل نهائي ثابت . ان علم الاجتماع حديث النشأة ، وموضوعه كما قال (اوغوست كونت) اكثر موضوعات العلوم تعقداً واشتباكاً . والموضوعات المعقدة تحتاج الى طريقة علمية مضبوطة وقواعد ثابتة دقيقة . فاذا أخلّ العالم بأصل من أصولها ، او اهمل شرطاً من شروطها ، تاه في بيداء الوهم وضل سواء السبيل . وقد يظن انه ادرك ضالته المنشودة وبلغ العلم اليقيني ، وهو في الحقيقة لم يدرك الا البرق الخلب . ان السيارة المفككة المحاور تكفي للسير بسرعة في الطريق المعبدة ، اما الطريق الوعرة فتحتاج الى سيارة محكمة التركيب قوية المحرك . لذلك كانت المباحث الاجتماعية أحوج الموضوعات العلمية الى طريقة مضبوطة واستقصاء تام ، ولذلك ايضاً كان أقل خطأ في الاستقرار والتحليل باعثاً على التعليل الفاسد والتضليل .

وما يصدق على علم الاجتماع العام ينطبق ايضاً على علم الاجتماع الديني ، لا بل هو في هذا العلم اظهر وابين . لأن موضوع علم الاجتماع الديني كما قال (دوركهايم) ، انما هو البحث في العقائد والفرائض والأفعال المتعلقة بالأشياء المقدسة . فيه يميز الحرام من الحلال ، والمقدس من غير المقدس ، والطاهر من النجس . وهي امور منقولة الينا بالتربية والتقليد والتلقين . لا حيلة لنا في الأخذ بها أو في ردها . فقد ننشأ على العقائد الدينية الموروثة كما قال الغزالي بتقليد

الوالدين والمعلمين . ثم قد يتحرك باطننا الى طلب اليقين فتنكشف لعقولنا حقيقة الدين انكشافاً لا ريب فيه فنرضى بها ونطمئن اليها . وقد يتسرب الشك الى قلوبنا فنردها ، ونقاوم الرأي العام بخروجنا عليها ، الا انها في جميع هذه الأحوال لا تخلو من صفة الجبر . بل تفرض علينا فرضاً ، وتضغطنا ، وتضطرنا الى اتباعها . وهذا يدل على ان الأمور الدينية ليست من الأمور الخارجية المستقلة عن نفوسنا بل هي خارجية وداخلية معاً . ومتى كانت الأشياء الخارجية ممازجة للارادات والعواطف كان اتباع الطريقة العلمية فيها اصعب وادق .

ومع ذلك فان علماء الاجتماع لم يعجزوا عن السير في طريقهم الذي انتهجوه فقرروا اولاً ان الظواهر الاجتماعية اشياء خارجية غير مسيرة بارادة الانسان ، وانه لا يجوز الاقتصار في تعليلها على العوامل النفسية الفردية ، وانها خاضعة لقوانين طبيعية ضرورية كغيرها من الظواهر . ثم انهم سلكوا في بحثهم عن هذه القوانين طريقة علمية صحيحة ، مبنية على الاستقراء والتحليل ، والاستقصاء والمقارنة . وساروا في ذلك قدماً حتى بلغوا بعلم الاجتماع ، خلال نصف قرن ، درجة من الضبط قلما بلغها علم من العلوم في نشأته الأولى . وهذا يبشر علم الاجتماع بمستقبل عظيم ، قد يكون له في اصلاح الحياة الانسانية اثر عميق ، لأن نطاقه سيكون واسعاً ، تدخل فيه الحياة المنزلية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحقوقية ، والدولية ، والدينية ، والفنية .

لقد اثارت آراء (دور كهايم) في علم الاجتماع بصورة عامة ، وفي علم الاجتماع الديني بصورة خاصة ، ضجة عظيمة . فانتقده بعضهم لقوله بروح اجتماعية كلية مختلفة عن النفس الفردية ، وزعمه ان لهذه الروح وجوداً حقيقياً شبيهاً بوجود الذوات الروحانية والعقول المفارقة . وانتقدوه ايضاً لزعمه ان العقائد الدينية والفرائض والأخلاق هي أشياء خارجية ليس غير . ولكن علم الاجتماع قد صحح بعد ذلك كثيراً من هذه الآراء ، فأخذ بمبدأ التقيد الطبيعي ، واعتمد على الملاحظة ، والاحصاء ،

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فان علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها اصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعللوا نشأة الديانات المختلفة ، ويبينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة بالعربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والالتواء ، وهي ستثير ، كما قال (دور كهايم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى نقدها ، وبيان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يتكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الأنهار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

جميل صليبا

الدكتور وليم ستكل ، أقنعة الحب

نقله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشرته مكتبة فلسطين العلمية
طبع بمطبعة بيت المقدس في القدس عام ١٩٢٦ ، وعدد صفحاته ١٦٦ من القطع الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أنفع من الكتب المشتملة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكبوتة والغرائز المكنونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلعت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فان علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها اصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعللوا نشأة الديانات المختلفة ، ويبينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة بالعربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والالتواء ، وهي ستثير ، كما قال (دور كهايم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى نقدها ، وبيان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يتكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الأنهار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

جميل صليبا

الدكتور وليم ستكل ، أقنعة الحب

نقله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشرته مكتبة فلسطين العلمية
طبع بمطبعة بيت المقدس في القدس عام ١٩٤٦ ، وعدد صفحاته ١٦٤ من القطع الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أنفع من الكتب المشتملة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكبوتة والغرائز المكنونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلعت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

واراداتنا إنما يرجع الى ميل مكبوت أو نزعة مخنوقة دفناها في القلب ثم حلنا بينها وبين العالم الخارجي بحجاب التربية وقيود المجتمع . ولكن هذه الرغبات المدفونة وراء حجاب الشعور لا تموت ، بل تتجمع بعضها فوق بعض ، ثم تمزق أكفانها وتحاول الظهور على مسرح الشعور بمظهر جديد . وقد تطالب بحقها أكثر من ذلك فتثور على الحياة الواعية ، ويبتدئ اذ ذاك نزاع شديد بينهما قد يؤدي في النهاية الى الجنون .

وفي الكتاب الذي بين أيدينا وصف للأقنعة التي نغطي بها نزعاتنا ورغائبنا المدفونة كقناع العمى الارادي وقناع الحساسية الشديدة ، وقناع الباعث الجنسي ، وقناع التردد ، وقناع الخوف من طبيب الأسنان ، وارادة المرض والقبح ، وضعف الارادة واختيار المهنة وغيرها سلك المؤلف في تعليلها طريقة أستاذه (فرويد) الذي أرجع كل شيء الى الغريزة الجنسية .

فمن الأمثلة الدالة على العمى الارادي ضيق المجال البصري عند بعضهم وتعاميهم الارادي عن رؤية الأشياء ، وانصرافهم الى التحديق في فكرة محدودة راسخة ، ورغبة بعضهم الآخر في كل شيء حتى يشبهوا دوامة الماء التي لا تعرف الوقوف . فهم ابداً في شغل شاغل يخشون ان تمر بهم ساعة فراغ ، ويشغلون انفسهم ليمنعوها من التفكير فيما لا يريدون أن يفكروا فيه .

ومن الأمثلة الدالة على الحساسية الشديدة حال الذين تتوتر أعصابهم فيتألمون من أقل ضجة ولا ينامون الا اذا سكن كل شيء وقد يفرّون الى القرى طلباً للراحة فلا تعرف الراحة سبيلاً الى قلوبهم ، لأن آلامهم ناشئة عن سبب داخلي ، يخشون تمتمة صدورهم ويفرقون من سماع أصوات غريبة تدوي في آذانهم « بل من رنين او طنين او دق مستديم يشبه دق الأجراس » (ص — ٤٢) .

ومن الأمثلة الدالة على اقنعة الباعث الجنسي وقوع بعض الناس في امراض نعجز عن تعليل اسبابها ، وتكون امراضهم هذه بمثابة قناع يغطون به حبهم .

وأقنعة الحب ثلاثة : الحياء ، والشوق ، والاحتقار . اما الحياء فهو اعتراف بالغريزة الجنسية واخفاء لباعث الحب . واما الشوق فهو دليل على الخوف من الذات . وله أشكال مختلفة ترجع جميعها الى اصل نفسي يحوله المريض الى إحساس . فالسيدة التعسة بحبها تنكر أسباب شقائها فتحولها الى ضيق في الصدر ، وأوجاع في القلب . والسيدة التي تكره زوجها وترغب في موته من نوبة صرع قد تصاب هي نفسها بخوف مرضي يشبه هذه النوبة . ومثل هذا كثير فهناك فتيات كن يعشقن رؤساءهن ، وطالبات كن يعشقن اساتذتهن ، ونساء كن يحببن اصدقاء رجالهن ؛ أخفين اسرارهن حتى عن أنفسهن فأصبن بآلام القلب وضيق التنفس العصبي او الربو او ببعض الاضطرابات العضوية الأخرى . واما الاحتقار فهو رغبة نعبر عنها تعبيراً سلبياً فكم من أوجاع في المعدة ليست سوى اضطرابات عصبية يمكن ارجاعها الى احتقار لا شعوري . ان بعض الفتيات اللواتي يمتنعن فجأة عن أكل اللحوم يحتقرن كل ما يمت الى الجسد بصلة ، فينقلب احتقارهن للجسد الى احتقار للغذاء . وأكثر النباتيين المتعصبين انما يرجع تعصبهم الى مثل ذلك . وقد وصف المؤلف كثيراً من أقنعة اله الحب كالأرق ، وجنون السرقة ، وجنون الحريق وغيرها . قال انه عرف طبيباً عنيناً أسس جمعية لمقاومة الأمراض التناسلية ، واستاذاً فاضلاً كان قد اخذ على نفسه ان يفتش جميع المخازن التي تبيع رسوماً مخلة بالآداب جاءه يوماً وهو يرتعش من شدة القلق لسلوكه سلوكاً شائناً مع إحدى الفتيات ، وقاضياً كان عديم الشفقة على الذين يخلون بالآداب العامة عثر عليه يوماً مقتولاً في مكتبه لارتكابه حادثة مخالفة للشرف .

وفي الكتاب أمثلة كثيرة غير هذه الا انها لا تخلو من المبالغة والتعميم . فمن هذه المبالغات الأدبية قول المؤلف ان الطبيب الجراح ليس سوى قاتل أعد نفسه لمطالب المدنية ثم صعد بواعثه الوحشية الى ميول سامية . وكذلك المتهالك في حب النساء يصبح طبيباً مولداً . ان المغرم بالأقدام الصغيرة يصبح صانع

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، واذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح ايضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تعميمها واطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص

مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفاسير المعوّل عليها عند اخواننا علماء الشيعة الأمامية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره .

مؤلف التفسير من أكابر علماء الشيعة الأمامية في القرن السادس (توفي سنة ٥٤٨ هـ) واسمه (ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعلاً كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلمة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرسي في القرآن وآياته وقرائه وأساميه وعلومه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته . وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصّل القول فيها تفصيلاً حسناً

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، واذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح ايضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تعميمها واطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص

مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفاسير المعول عليها عند اخواننا علماء الشيعة الأمامية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره .

مؤلف التفسير من اكابر علماء الشيعة الأمامية في القرن السادس (توفي سنة ٥٤٨ هـ) واسمه (ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعلاً كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلمة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرسي في القرآن وآياته وقرائه وأساميه وعلومه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته . وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصّل القول فيها تفصيلاً حسناً

مميزاً بين المطالب التفسيرية بعنوانات خاصة : (القراآت) (اللغة) (الاعراب) (الحجة) (المعنى) . ويريد بالحجة بيان حجج القراآت المختلفة . وقد اعجبنا من المفسر توسعه في تحليل الكلمات اللغوية وسرد الشواهد عليها . كما اعجبنا إيراده معنى الآية إيراداً وسطاً لا هو بالمسهب الممل . ولا بالمقتضب المخل . بعبارة سهلة متينة لا تكلف فيها كما هو شأن الفحول من علمائنا الأقدمين رضي الله عنهم . وقد قال العلامة محسن في مقدمته :

اتفقت الأئمة على توثيق المؤلف وتبحره وغزارة مادته وقد جمع في تفسيره أنواع العلوم وما تشذت من الأقوال مع الاعتدال وحسن الاختيار في تلك الأقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الخصم أو يشتمل على التهجين والتقبيح . وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك . وانظر الى ما قاله في مقدمة كتابه (الكاف الشاف في مختصر الكشاف) في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله — تعلم ان المفسر الطبرسي من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية انتهى)

وبالجملة فان هذا التفسير من امتع التفاسير واجمعها لفنون العلم واحسنها ترتيباً لها . وايراداً لمسائلها ، ووصفُ الشيخ محسن للمؤلف (بالاعتدال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي) حق وهو من أجل الأوصاف التي يجب ان يتحلى بها رجال الفرق الاسلامية . وقد شاهدنا اثر اعتدال المؤلف وتأدبه في ص ٣٢ من الجزء الخامس عند تفسيره لقوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وقد أرجع المؤلف ضمير (عليه) الى النبي ﷺ ثم قال ما نصه (وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي في هذه الآية بالسكينة – (اي دون ابي بكر) — كلا ما رأينا الاضراب عن ذكره أحرى لئلا ينسبنا ناسب الى شيء) اقول ولعمري ان الاضراب عن ذكره حسن . وأحسن منه عندي ان لا يضرب عنه بل يأتي عليه ثم يخاطب الفريقين الأخوين بتهجين هذه الأبحاث المتكلفة في تفسير القرآن الذي ألف بين قلوب المسلمين

فقام المسلمون وخالفوا القرآن: ففرقوا ذات بينهم . وجرّوا انفسهم بأيديهم الى حينهم .
وقال المؤلف في تفسير الآية نفسها قولاً نوافقه عليه كل الموافقة . وهو ان بعضهم جوز ان تكون الهاء في (عليه) راجعة الى ابي بكر (رضي الله عنه) على معنى ان الله ألقى في قلب ابي بكر ما جعله يسكن ويهدأ بعد الجزع . قال المفسر الطبرسي (وهذا بعيد لأن الضمائر المذكورة قبل (عليه) وبعده تعود كلها الى النبي بلا خلاف : (الا تنصروه فقد نصره) (إذ أخرجه) (لصاحبه) — وأيده) فكيف يتخلل هذه الضمائر ضمير (عليه) العائد الى غير النبي انتهى ما قاله المؤلف وقد اصاب فيه كل الاصابة : لأن كلام الله اذا ذاك يبقى حسن الرَّتَل . متلائم الأجزاء . لا تشاخس فيه ولا تفكك ولا خروج عن الصدد . والخروج عن الصدد معيب اذا وقع في كلام الخطباء . وحديث الجلساء . فكيف نقرّه في كلام رب الأرض والسماء .

ويا ليت المؤلف مذ قال هذا القول هنا اي في آية (فأنزل الله سكينته عليه) قاله في آيات (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ... فلا تخضعن (أي يانساء النبي) وقُلن (اي يا نساء النبي) وقِرْن (اي يا نساء النبي) ولا تبرَّجن (اي يا نساء النبي) وأقمن الصلاة (اي يا نساء النبي) وآتين الزكاة (اي يا نساء النبي) وأطعن الله (اي يا نساء النبي) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً (اي يا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) واذكرن ما يتلى في بيوتكن (اي يا نساء النبي) : فقد قال المؤلف اختلفوا في مراد الآية (بأهل البيت) : فقال عكرمة أراد أزواج النبي (ﷺ) لأن اول الآية متوجه اليهن . وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة ابن الاسقع وعائشة (إحدى الأزواج المخاطبات اولاً !) وام سلمة (إحدى الازواج المخاطبات أيضاً !) ان الآية (اي آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس المتخللة في الآيات) مختصة برسول الله (ﷺ) وعلى فاطمة والحسن والحسين) ثم ذكر المصنف أحاديث ذكر فيها ان المراد بالآية سادتنا الخمسة المذكورين وختمها بقوله :

(فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان ! تعلقها بغيرهم . ومتى اعترض بأن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء . وكذلك كلام العرب وأشعارهم اه قول المؤلف .

المغربي

عبد الله فكري (عصره) ، (حياته) ، (أدبه)

تأليف محمد عبد الغني حسن بمقدمة كتبها عبد الحميد العبادي بك

وقد طبع في مصر سنة ٩٤٦ م

أهدي الى مجمعنا هذا الكتاب في ترجمة حياة زعيم من كبار زعماء النهضة الأدبية المصرية . وقد شعرت وانا اتصفحه بعاطفة هزت نفسي وهاجت مسرتي واذكرتني ايام الحداثة والاهتمام بالطلب والتحصيل : ذلك ان صديقاً لي في ذلك العهد يعرف مني الحرص على مطالعة ما ينشر من الآثار الجديدة في العلم والأدب أطلعني على كتاب صغير لا يزيد على حجم الكف طبع حديثاً في مصر (أى في سنة ١٣٠٦) باسم (الرحلة البعلبكية) لمنشئها (سعادة عبد الله فكري باشا) فلم اكتف بمطالعة هذه الرحلة إعجاباً بها وحرصاً عليها بل اسرعت الى نسخها وما زالت نسختها الى اليوم بين أوراقي . وكنت اقرؤها على الاخوان المرة بعد المرة واستثير اعجابهم بما تضمنته من براعة في الأسلوب . وحذق في السجع . ولطف اشارة الى الملح العلمية والنكت الأدبية . وكنا في ذلك العهد ندرس الأدب القديم ونرى الحاجة ماسة الى تطوره والتجديد فيه . كما تنبهت عقولنا الى شيء يقال له الأدب الحديث أو العلوم العصرية ووجوب الاهتمام بها لتتم لنا نهضة صحيحة . فرأينا في تلك الرحلة ما دلنا على ان صاحبها من أولئك الذين يعملون على التجديد والنهوض : فهو يحاول تفكيك قيود الأدب القديم والأخذ به نحو طريقة حديثة

(فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان ! تعلقها بغيرهم . ومتى اعترض بأن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك مملوء . وكذلك كلام العرب وأشعارهم اه قول المؤلف .

المغربي

عبد الله فكري (عصره) ، (حياته) ، (أدبه)

تأليف محمد عبد الغني حسن بمقدمة كتبها عبد الحميد العبادي بك

وقد طبع في مصر سنة ٩٤٦ م

أهدي الى مجمعنا هذا الكتاب في ترجمة حياة زعيم من كبار زعماء النهضة الأدبية المصرية . وقد شعرت وانا اتصفحه بعاطفة هزت نفسي وهاجت مسرتي واذكرتني ايام الحداثة والاهتمام بالطلب والتحصيل : ذلك ان صديقاً لي في ذلك العهد يعرف مني الحرص على مطالعة ما ينشر من الآثار الجديدة في العلم والأدب أطلعني على كتاب صغير لا يزيد على حجم الكف طبع حديثاً في مصر (أى في سنة ١٣٠٦) باسم (الرحلة البعلبكية) لمنشئها (سعادة عبد الله فكري باشا) فلم اكتف بمطالعة هذه الرحلة إعجاباً بها وحرصاً عليها بل اسرعت الى نسخها وما زالت نسختها الى اليوم بين أوراقي . وكنت اقرؤها على الاخوان المرة بعد المرة واستثير اعجابهم بما تضمنته من براعة في الأسلوب . وحذق في السجع . ولطف اشارة الى الملح العلمية والنكت الأدبية . وكنا في ذلك العهد ندرس الأدب القديم ونرى الحاجة ماسة الى تطوره والتجديد فيه . كما تنبهت عقولنا الى شيء يقال له الأدب الحديث أو العلوم العصرية ووجوب الاهتمام بها لتتم لنا نهضة صحيحة. فرأينا في تلك الرحلة ما دلنا على ان صاحبها من أولئك الذين يعملون على التجديد والنهوض : فهو يحاول تفكيك قيود الأدب القديم والأخذ به نحو طريقة حديثة

تجمع بين متانة اللغة العربية · وصحة أسلوبها — وبين استعمالها في الفنون العصرية والمطالب الاجتماعية الحديثة · غير انه لم يتح لعبد الله فكري التملص بتاتاً من السجع الموروث · وكان يشايعه على هذا التجديد في الأدب زعيم آخر من وزراء مصر هو ا علي باشا مبارك) مؤلف كتاب (علم الدين) الذي لم يصدر منه سوى اربعة أجزاء · وقد كنت قرأته لأول ما صدرت طبعته في الاسكندرية · فكنت اجد فيه وفي صاحبه ما وجدته في الرحلة البعلبكية ومنشئها من حيث محاولتهما التجديد في الأدب العربي وسلوك منحى عصري فيه وكان في الأستانة لذلك العهد أناس آخرون من أبناء العرب ينحون منحاهما ويعملون على شاكلتهما وهما (الطويراني) و (السلاوي) واشياعهما ·

وقد بقي هذا الأدب الجديد المسجع موضع اهتمام القراء حتى ظهرت جريدة العروة الوثقى التي كان ينشؤها استاذنا (محمد عبده) في باريس على عين من السيد (جمال الدين الأفغاني) فكان هذا مبدأ عهد جديد في أساليب الانشاء العربي وتوجيه الأدب عامة الى خدمة الاجتماع الاسلامي والسياسة القومية وانعاش الاخلاق الدينية والدعوة الى الاصلاح في هذه المطالب الثلاث · فلا جرم ان كان هؤلاء المنشئون من كتاب العرب هم زعماؤنا في هذا الفتح الجديد وتمهيد الطريق اليه · والكتاب الذي أمامنا في ترجمة حياة عبد الله فكري فيه الشواهد الكثيرة على ما قلناه من أنه كان مجدداً في (عصره) و (حياته) و (أدبه) وقد فصل هذا كله الفاضل (محمد عبد الغني حسن) مؤلف الكتاب احسن تفصيل · وابرزه في اجمل أسلوب · والطف تعبير : والكلام في ترجمة المترجم يتصل بالكلام في حالة الجيل الماضي الذي عاش المترجم بينهم · وكانوا تلاميذ مدرستين : مدرسة التعليم الديني · ومدرسة التعليم المدني · ولكل من المدرستين كتب وطرائق واساليب · فوصف المؤلف كل هذا وحدد موقف المترجم من تعاليم المدرستين · ورجال المدرستين · ثم وصف اخلاق المترجم وعصاميته وشعره ونثره وآثاره الأدبية ورحلاته الى اوربا وسورية · وذكر اصدقاءه

هنا وهناك وهنالك ولا سيما علاقته بالشيخ محمد عبده وشهادة الشيخ فيه وتعلق الأمير شكيب بصداقته منذ حداثته . قال الأمير (وكان الشيخ عبده شديد الحب لعبد الله باشا فكري لا يفتأ يذكر محامده .... وكان يعجبه من شعره قوله مخاطباً للخديوي توفيق :

(ولو شئت كانت لي زروع وأنعم   ومال به الآمال أقتادها قسرا)
(ولكنهـا نفس فدتك أبيـة   تعاف الدنايا ان تمر بهـا مرا)

والكتاب بمجموعه طرفة أدبية لا تُمل قراءته . ولا تنتهي فوائده . وللقارئ هذا النموذج منه وقد وصف المؤلف فيه (الرحلة البعلبكية) التي أشرت اليها في صدر الكلام . ولعل ما في هذه الرحلة أظرف مداعبات المترجم ومضاحكاته . وقد كان بينه وبين (الشيخ عبد المجيد الخاني) (وهو المخاطب في الرحلة) مكاتبات تدل على ما كان بين المترجم وبين أعيان دمشق من الحب وخلوص الود . وكان للسيد الخاني (لازمة) يستعملها في الحديث هي لفظة (المدهش والمدهشات والمنعش والمنعشات) فكان اصدقاؤه المصريون يتندّرون بها عليه . ويودعونها رسائلهم اليه . حتى ان الأستاذ الشيخ محمد عبده كتب اليه من رسالة فقال : (ويهدي الى حضرتكم التحيات المدهشات والتسليات المنعشات حضرات الأساتذة (فلان وفلان) .

وافتتح عبد الله باشا فكري خطابه الى السيد الخاني في (الرحلة البعلبكية) بقوله (اهدي اليك من منعشات التحية والسلام ، واتلو عليك من مدهشات الشوق والغرام ما يجمل إجماله لواصفه ولا يلزم تفصيله لعارفه) .

وفي هذه (الرحلة البعلبكية) ما فيها من ظرف عبد الله فكري وأدبه وخفة روحه حتى لقد أرسل نفسه على سجيتها مع الشيخ الخاني (ينتقل به من دمشق الى دمر الى الفيجة . ويصف المكاري الذي حمله على حصانه وقد ضلت به السبل . وتشعبت أمامه الطرق . ولعن الحصان الذي تحته وسبه . وألحق به دينه ومذهبه . ومن باعه وركبه . وامواته واحياءه . وعشائره واحباءه . فلما وصل الى رأس السوق (سوق وادي بردى) التمس داراً للمقام والتمس غذاء فلم يجد غير دجاجات اضلتهن

أيدي الحدثان · وافلتتهن مخالب أنسر لقمان قد وعين الطوفان · وتطاول عليهن تقادم الزمان · فما زلن يصاولن الأيام ويواصلن الصيام · حتى يبسن وسمجن · وفني عليهن الحطب ولم ينضجن) ثم عاد فشكا في الرحلة نبيس المداد في بعلبك بقوله (أشكو من هذا المداد الجامد · الا اشكوه من المكاري البارد) ووصف توقف القلم عن الجري على القرطاس بقوله (فيقف عن جولانه · وقفة الحمار في المدار · ويثبت في مكانه · ثبوت المسمار في الجدار الخ

أقول وللشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس المسماة التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية) وصف للصعوبات والمشاق التي قاساها في تلك الجبال وعقابها والأودية ووهادها تشبه في الجملة ما قاله عبد الله باشا فكري في رحلته البعلبكية وبين الرحلتين ٨٠ سنة ·

(ملاحظة) قرأنا في احدى الصحف المصرية بالأمس ان كتاباً في ترجمة (عبدالله باشا فكري) ألفه الأستاذ السيد العناني وقدم له الشاعر خليل بك مطران ·

المغربي

(من عبقريات نساء القرن ١٩)

جزؤه الأول تأليف السيد يوسف يعقوب مسكوني

طبع في بغداد سنة ١٩٤٦ م

عُني بوضع هذا الكتاب الأستاذ الموما اليه وقد أراد ان يجمع شتات ما تفرق من تراجم شهيرات النساء المعاصرات فضمن جزءه الأول ثلاثاً منهن وكأنه أراد ان يشير بهذا الجمع الى ان نهضة المرأة العربية لم تكن مقتصرة على طائفة واحدة من اقوام الأمة العربية وانما النهضة كانت عامة شاملة نساء الطوائف كلها فترجم للسيدة عائشة التيمورية (المتوفاة سنة ١٩٠٢) رامزاً بها الى المرأة العربية السنّية ثم للسيدة وردة اليازجي (المتوفاة سنة ١٩٢٤ م) رامزاً بها الى المرأة العربية المسيحية ثم للسيدة زينب فواز (المتوفاة سنة ١٩١٤ م) رامزاً بها الى المرأة العربية الشيعية

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمتين الأوليين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة : ماهيتها وأخلاقها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجها وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟ ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجميل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إتمامه إن شاء الله .

المغربي

ضوء في تاريخ التوحيد

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ احمد صبري شويمان

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افندي نصيف كتاب «الضوء» ورغب إليّ أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأيي فيه ، والذي يمعن النظر في هذا الكتاب ويسير على ضيائه ، يرى أن عنوانه جزء من أجزائه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الإسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتجلية غوامضها ، وتعقب عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه :

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصولاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبناها عليها . والكتاب في جملته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وها هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الإنسان واحدة وسلوكه مختلف

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمتين الأوليين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة : ماهيتها وأخلاقها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجها وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟ ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجميل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إتمامه إن شاء الله .

المغربي

ضوء في تاريخ التوحيد

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ احمد صبري شويمان

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افندي نصيف كتاب «الضوء» ورغب إليّ أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأيي فيه ، والذي يمعن النظر في هذا الكتاب ويسير على ضيائه ، يرى أن عنوانه جزء من أجزائه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الإسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتجلية غوامضها ، وتعقب عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه :

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصولاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبناها عليها . والكتاب في جملته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وها هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الإنسان واحدة وسلوكه مختلف

(٣) منابع الفطرة في الجزيرة العربية (٤) البيت العربي (٥) العقل العربي (٦) الدين العربي .

وأما الفصول التي جعلت أصولاً لغيرها فمنها فصل أصل العالم، وفطرة البدن السليم، وفطرة النفس المطمئنة، وهذه الفصول الثلاثة داخلة في الباب الثالث (منابع الفطرة).

ومن مباحثه الخلقية ما كتبه تحت عنوان: أمم مريضة بطبيعتها، الضعف العقلي أساس المرض التناسلي، الفسق من عوامل الانقراض، مصارع المراهقة، الشذوذ الجنسي، الصوفية والشذوذ الجنسي».

هذه مجملات من أبواب الكتاب وفصوله، وهو في جملته ذم للتصوف عند جميع الأمم، ورمي لأهله بالفسوق والمروق والضعة والخمول، وهذا التعميم غير جار على سنة القرآن الحكيم، الذي يزن بالقسطاس المستقيم، فالتصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا وعرضها الأدنى وإيثاراً للآخرة عليها وجهاداً في سبيل الله واقامة لميزان الحق والعدل بين الناس، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان، ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم، ثم حدث له هذا الاسم، ومن بعد أن كان مسماه نسكاً وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم، صار آراء فلسفية تنقل فيها أهلها الى القول بالحلول والاتحاد. ثم انقلب إلى شعبذة وشعوذة وتغرير بالبسطاء وتزلف للحكام وأكل لأموال الناس بالباطل.

وكان على المؤلف — وهو يستعرض التصوف القديم والحديث عند جميع طبقات البشر — أن ينوه بمتصوفة الوطن الذين جردوا أنفسهم لخدمته، واستنفدوا جهودهم في سبيله، كزعيم مصر سعد، وكغاندي الهند، وأن يتناول بذمه من اتخذوا لتصوفهم مواسم ومراسم يطلعون فيها على الناس بأزياء وألوان وهيئات غريبة تشبه في مظاهرها عيد المساخر عند بعض الأمم! وكان من حق الحكومة الإسلامية التي تدعى اليها وتشارك فيها أن تمنعها لأنها تقام باسم الدين الذي يبرأ منها، ويعدّ أهلها من الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا .

وقد وقع المؤلف في أغلاط دينية كبرى ما ندري ما الذي جرّه اليها أوجرّأه عليها ! ، فمنها تعريفه للدين بأنه « تجنب السلوك بما يخالف الفطرة » « أو هو الكيفية التي توحي بها الفطرة السليمة حلّ المشاكل الانسانية اهـ ص ٤٣ » وهذا دين غير اسلامي ولا سماوي ، لأنه يستمد الإلهام والنظام من الفطرة الإنسانية لا من الشرائع السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه وأرسلهم بها الى الناس ، وليس منبع الدين النفس ولا مصدره الإلهام ، ولكنه وضع إلهي ، ووحي سماوي يشير للفطر السليمة طريق السعادة العظمى .

(ومنها) تفسيره للسبع المثاني بقوله :

« السبع المثاني — على خلاف رأي الأعاجم من المفسرين — هي الأربعة عشر حرفاً التي أقسم بها الله في أوائل السور في مثل قوله « الم » الخ « ثم قال » : وقد غلط المفسرون بطبيعة عجمتهم حين زعموا أن السبع المثاني هي سبع سور أوسبع آيات الخ .

أعلمت أيها القارئ الكريم من هؤلاء الأعاجم الذين فسروا السبع المثاني بأنها سبع سور أو سبع آيات ؟ إنهم أجلاء الصحابة والتابعين كعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس ، وكمجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم ، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، [راجع تفسير الآية : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، من سورة الحجر ، في تفسيري الحافظين ابن جرير وابن كثير] ثم من أين له العلم بأن الله تعالى أقسم بهذه الحروف الأربعة عشر ، وهي ليست إلا حروفاً مفردة ، وحروف القسم الثلاثة ليست منها ؟

حسبي بما أوردت شاهداً على جزمه بما ليس له به علم ، أو بما يعلم خلافه !!

ومن الأغلاط اللغوية إتيانه بكلمة « فقط » في غير موضعها كقوله ص ٥٤ تقوم فقط على غير الفطرة وص ٨٣ لا يؤدي فقط إلى إنهاك قوى الجسم وإضعافه و ص ٣٠٧ ولكننا نفسر فقط ما اشتهر من رأي العرب في الجن » والصواب أن تكون « فقط » في آخر هذه الجمل الثلاث ، فيقال : تقوم على صورة الفطرة فقط الخ كما هو ظاهر

وجملة القول : انا نرجو أن يكون هذا الكتاب داعياً الى الأخذ بمعالي الأمور ، وترك سفسافها .

محمد بهجة البيطار

مختصر تاريخ الحضارة العربية

تصنيف الأستاذين راتب الحسامي وجورج حداد ، في (٥٤١) صفحة من القطع المتوسط يتخللها بعض الصور • وهو من منشورات دار اليقظة العربية بدمشق •

حاول الأستاذان في هذا الكتاب اختصار تاريخ الحضارة العربية في مختلف نواحيها • فبحثا في ادارة الدولة الاسلامية وحياتها الاجتماعية والاقتصادية وحركاتها الفكرية والفنية • وقد ادركا : «بأن وضع مثل هذا الكتاب ليس بالأمر السهل نظراً لاتساع موضوعه ووفرة مادته ، خصوصاً والايجاز والاختصار اصعب في مثل هذه الأبحاث من التطويل والاسهاب» • ويلمس القارئ في كل فصل من فصول هـذا الكتاب أثراً لهذه الصعوبات ، ويتبين له ما بذله المصنفان من جهد للتوفيق بين حاجة الطالب في أفقه المحدود ورغبة المطالع الطامع في زيادة المعرفة والاستفادة •

وهذا الكتاب هو غني بمادته ، واسع بأبحاثه • والذي كنا نرجوه لو تجنب الأستاذان في أبحاثهما بعض المسائل الخلافية والتوسيع فيها — لا سيما فيما جاء في فصلي الحياة الفنية والحياة الفكرية — لأمنا العثار وسلم الكتاب من الزلات والأخطاء والجدل التي تشوش على التلميذ ولا ينتفع بها • ولا ننسى ان مايصح بحثه ومعالجته خارج النطاق المدرسي يحسن ان لا نتسامح به في الكتب المدرسية •

وقد عثرنا على أخطاء نشير الى اهمها • فقد جاء في :

ص ٢٣ شاب من العباسيين اسمه عبد الرحمن الخ • وصوابه شاب من الامويين

« ٨٦ محمود الزنكي المعروف بالملك العادل • وصوابه محمود بن زنكي والمعروف بالملك العادل هو سيف الدين ابو بكر بن ايوب وليس نور الدين

« ١٤١ بجاية في الأندلس وصوابه على ساحل افريقية

« ٢٥٩ زعما ان قصر المشتى من بناء الغساسنة والصواب انه من بناء الأمويين •

« ٢٧٥ قصر الخزنة • لايعرف قصر بهذا الاسم ولعله قصر خرانة الموجود في البلقاء •

ص ٣٢٢ زعما ان زرياب او الكندي قد زادا الوتر الخامس في العود . والحقيقة ان الوتر الخامس كان موجوداً في زمن هشام بن عبد الملك اي قبل زرياب والكندي بزمن طويل كما هو ظاهر في الصور التي عثر عليها في قصر الحير الأموي .

« ٣٢٦ البرونز . هي كلمة أعجمية وتعريبها الشبه .

« ٣٣٢ مدينة ليون باسبانيا ، وصوابه في فرنسا .

« ٣٤٠ قالا : « ويظهر انهم لم يذكروا اسم البلد الذي ضربت فيه النقود حتى اوائل القرن الثاني للهجرة » وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن اسم البلد قد ذكر على الدراهم الاسلامية منذ الوليد بن عبد الملك .

« ٣٤٦ قالا : « ليس العصر الذي سبق الاسلام عصراً جاهلياً لأن التاريخ أثبت ان الفكر العربي كان آنذاك نامياً ... الخ » وهذا تفسير مغلوط لأن اطلاق اسم العصر الجاهلي على العصر الذي سبق الاسلام يقصد منه الناحية الدينية فقط ولا يشمل الثقافة والفكر .

« ٤٣١ Monophysites وصوابه Monophysisme

« « Monothelites وصوابه Monothéisme

« « وكان مؤتمر خلقدونيا في سنة ٤٥١ لا في سنة ٤٤٨

« ٤٣٦ قالا عن مكتبة الاسكندرية « التي اتهم العرب باحراقها » وكان من من أولى واجبات الأستاذين ان يدفعا هذه التهمة الباطلة عن العرب لأن المكتبة حرقت قبل دخول العرب مصر بزمن طويل كما حققه وأثبته عدد كبير من مؤرخي الغرب حتى أصبحت اليوم حقيقة لا تقبل الجدل وبعد ان عرف بأنها فرية لفقها اعداء المسلمين .

وما نعيبه على هذا الكتاب المدرسي الاسراف في بحث منشأ الحضارة العربية حتى يكاد القارئ ان يتخيلها حضارة ملفقة من انقاض حضارات بائدة انتحلها العرب

لأنفسهم . ولا ننكر بأن العرب قد أخذوا عن سواهم كثيراً من معالم حضارتهم - شأن جميع الأمم في قديمها وحديثها ولكن العرب قد امتازوا عن سواهم في صهر ما أخذوه في بوتقتهم فالبسوه حلة جديدة ضاع معها الأصل ، وكونوا منها حضارة لها شخصية واضحة مستقلة كأنها حضارة مبتكرة تتفق مع روحهم وعقلهم ودينهم الجديد ، وهذا ابرز ما في الحضارة العربية واروع ما حققه العرب وهي الحضارة الوحيدة من نوعها التي تتجلى فيها العبقرية في كل نواحيها .

جعفر الحسني

الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥

تصنيف جوزيف هويتيكر لندن ١٠٥٣ صفحة

Whitaker's Alinanack

اعتادت دور النشر الكبرى وأحياناً بعض الصحف ان تصدر دليلاً أو تقويماً في كل عام يحتوي على مختلف المعلومات المفصلة المتعلقة بحياة البلاد التي يصدر فيها ، وعلى معلومات اجمالية عن سائر بلاد العالم . والدليل البريطاني الذي نبحث عنه هو المجلد السابع والسبعون من مجموعة تصدر منذ ١٨٦٨ بادارة اسرة هويتيكر . ويمكن القول ان هذا الدليل هو موسوعة صغيرة عن الامبراطورية البريطانية ويتألف من ١٠٥٢ صفحة مطبوعة بالحرف الصغير . وهو يبدأ بمعلومات فلكية مفيدة تتعلق بالأبراج والنجوم والمجموعة الشمسية والأرض والزمن وحساب الأوقات والروزنامات وكذلك يحتوي على معلومات عملية مفيدة تتعلق بالأوزان والمكاييل وبالرموز والاختصارات المختلفة . ولكن القسم الأكبر منه يتناول بريطانيا العظمى وحكومتها وأنظمتها الادارية . وفيه جداول كثيرة بأسماء ملوك انكلترا ونوابها ، ولورداتها ، والقاب الشرف فيها وحامليها ، واسماء الدوائر

الحربية المختلفة وموظفيها وجداول بالمحاكم وموظفيها ، والاسقفيات واساقفتها ، وبأسماء الجامعات والمدارس الكبرى وموظفيها ، واسماء الصحف والمصارف والنوادي .

والدليل يحوي زيادة على ذلك معلومات عن مختلف أجزاء الامبراطورية البريطانية من الوجهة التاريخية ثم من الوجهتين الجغرافية والادارية فيصف حكومة كل من هذه الأجزاء واسماء موظفيها ورواتبهم كما انه يصف حاصلاتها وتجارتها . وأهم الأبحاث في هذا القسم تتناول امبراطورية الهند . وهنالك قسم في الدليل يبحث عن البلاد الأجنبية فتتناولها بلمحة تاريخية موجزة وبلمحة عن حكومتها ثم جغرافيتها الاقتصادية وتجارتها بشكل خاص ، وكذلك يبحث في علاقة انكلترا بها . واسماء ممثلي انكلترا الدبلوماسيين والقنصليين فيها . ولا يخلو هذا الدليل من وصف حوادث الحرب العالمية الأخيرة ومجهودات انكلترا فيها ، كما ان فيه بعض الجداول التاريخية التي تتعلق بأسماء الملوك والرؤساء في مختلف الدول والأمم المالكة .

والمهم في هذا الكتاب انه لا توجد ناحية من نواحي النشاط في حياة انكلترا وامبراطوريتها الا ويصفها ويعطي الاسماء والاحصاءات والتواريخ المتعلقة بها ، فهو من هذه الناحية كتاب جزيل الفائدة . وحبذا لو قامت البلاد العربية — متعاونة او كل قطر بمفرده — بتصنيف دليل مثله فيكون وسيلة عملية للتعارف فيما بينها وللتعرف على تفاصيل الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في كل منها ، وعلى اسماء الرجال والهيئات القائمين بأعباء كل من نواحي النشاط فيها ، وللاطلاع على أهم الوثائق والأنظمة والقوانين التي لها علاقة بهذه النواحي .

جورج حداد

آراء وانباء

— ملاحظات لغوية —

نشرت في العدد الاول من المجلد الثامن عشر القسم الخامس من مقالي الذي عنوانه (نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول) . ومما ذكرته في ذلك القسم انه لايوجد في العربية كلمة تدل على معنى(Ecussonnage) بالفرنسية وهوالتطعيم بالبرعم، ويسمونه عندنا التطعيم بالرقعة ، وأنه من الضروري جعل كلمة (البرعمة) تتضمن هذا المعنى .

واذا بالدكتور مصطفى جواد يأتي بعد ثلاث سنين او أكثر فينشر في عدد آب من هذه السنة (ص ٣٨١) تتمة مقال له عنوانه (التنبيه والتوجيه) جاء فيه ان الكلمة الفرنسية المذكورة هي (التطعيم) بالعربية ، وانه لا حاجة الى (البرعمة) ، ثم نراه بعد هذا الفوز بعثوره على كلة (التطعيم) ينقل لنا عن المسعودي وعن المقريزي جملاً استُعملت فيها هذه الكلمة اي التطعيم . وينهي كلامه بقوله : (وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راتب) .

قلت ان من أدواء هذه اللغة كون بعض لغوييها يستسهلون البحث عن مصطلحات علوم لا يجيدونها . فالتطعيم بحث واسع من أبحاث زراعة الشجر ، وفيه مؤلفات ، وله اشكال عديدة كالتطعيم بالبرعم (الرقعة) والتطعيم بالغرز (القلم) والتطعيم بالشق والتطعيم بالترصيع والتطعيم بالإدناء والتطعيم بالتصفيح وتطعيم اللحاء الخ . الخ . فكلمة (التطعيم) هي عامة تشمل كل هذه الاشكال . وليس في العربية كلة واحدة تدل على شكل واحد بعينه من هذه الاشكال . ولا يجوز قصر معنى التطعيم على التطعيم بالبرعم . واستعمال كلة (التطعيم) مجردة لا يفيد معنى التطعيم بالبرعم وحده بل يفيد أيضاً جميع الأشكال الأخرى مما ذكرته وما لم اذكره . ولهذا طلبت في مقالي جعل كلة البرعمة تتضمن معنى

(Ecussonnage) أي التطعيم بالبرعم . ويرى مجمع مصر أيضاً هذا الرأي . لكنه وضع كلمة التبرعم لهذا المعنى . وقلت في مقالي المذكور ان البرعمة اصلح . ويتضح من ذلك انه لو كان حضرة الكاتب الذي ألزم نفسه بالتنبيه والتوجيه عالماً بالعلوم الزراعية لكفى نفسه وقراء مجلة المجمع مثل هذه التوجيهات الخاطئة . أما تنبيهه الى (ربط الثقافة القديمة بالحديثة) فهو كلام يجب ان يوجهه الى نفسه ، لأن الذي يبحث عن التطعيم في كتب السلف لا يستشهد بجمل أوردها المسعودي أو المقريزي ، بل يراجع كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام وكتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا وغيرها من كتب السلف الزراعية فيجد فيها أبحاث التطعيم كما يجد الكلمات التي استعملوها مرادفة للتطعيم كالتركيب والإنشاب الخ . ومتى انتهى من تلاوة هذه الأبحاث ، وكان عالماً بالعلوم الزراعية الحديثة ، وعارفاً بمعاني الألفاظ الزراعية العربية ، جاز له بعد معالجة هذه الأمور سنين عديدة ان يدلي برأيه فيها .

أما الدكتور مصطفى جواد فان له علماً وفضلاً ولكن في غير هذه الناحية فليتجنبها وليكتف بما هو عالم به يفد قراءه والمعجبين به وأنا منهم .

(حلب) مصطفى الشهابي

غلطتان مطبعيتان

جاء في بحثي عن كتاب « تطور الري في العراق » المنشور في الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين غلطتان مطبعيتان واليك تصحيحهما :

صفحة	غلط	صواب
٣٦٧	الخضروات	الخضراوات
٣٦٨	الغربن	الغرين

م . ش

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

٨ — وورد في ص ٤٤ « بعض اصطلاحات يونانية » وليس هذا من تعابير الفصحاء لأن « بعضاً » اذا أريد بها الجزء الواحد من كل الأجزاء — وهو المعنى الأصلي الذي وضعت له — فيجب لها ان تضاف الى معرفة · فيقال « بعض الاصطلاحات اي قسم منها وأحدها ، وإذا أريد بها جزء الجزء فيجوز ان تضاف حينذاك الى النكرة فيقال : « كتبت صحيفة أو بعض صحيفة » ومنه قوله تعالى : « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم[1] » ، ولعل الكاتب الفاضل أراد « ببعض » ما يريد الفرنسيون بكلمة Quelque فالصواب « اصطلاحات يونانية » لأن التنكير يدل على القلة ويفيدها إذا كان الجمع خالياً من وصف يدل على الكثرة كأن يقال « اصطلاحات كثيرة » فمن الأولى قولنا « اشتريت دجاجات ، وشرحت كلمات ، وأقمت أياماً » وما اليه من العبارات · ونقول القول بعينه في العبارة الثانية الواردة في الصفحة المذكورة وهي تتعلق « ببعض نظرات »

٩ — وفي ص ٤٨ « فان السلف أخذها مباشرة عن اليونانيين » ومباشرة هذه هي ترجمة Directement الفرنسية ، وأقرب الأقوال العربية الفصيحة أن يقال «أخذوها قصداً » ولا محل هنا للمباشرة ولا وجه لاستعمالها ولو بالتأويل والتخريج ·

١٠ — وجاء في ص ٤٩ أن كلمة « ابليس » على رأي الكاتب الفاضل من Epiaès اليونانية لا من Diasolos · قلت : ما أبعد هذين اللفظين عن لفظ «ابليس» ! واللفظة القريبة منه هي « Diabolus » اللاطينية ومنها الفرنسية Diable ·

١١ — وفي ص ٦٠ ما نصه « وقال الحاجب للنقيب ابي محمد قل لولدك محمد » والصواب « ابي احمد » وهو والد الشريف الرضي ، والغلط يسير ولكن السكوت عنه على أهل البحث والتحري عسير

(١) سورة الكهف في الآية ١٩ منها

١٢ — وجاء في ص ٦١ ما هذا نصه « هذا ما ساقه ابن ابي الحديد في شرحه على النهج من غير ان يذكر السنة التي كتب فيها المحضر » . أراد محضر طعن العباسيين على نسب الفاطميين الذين اسسوا دولتهم في مصر بعد المغرب ، قلتُ : وليس كتاب شرح نهج البلاغة مقصوراً على التاريخ ولا موضوعاً للحوادث ، فمن مبادئ العلم بتاريخ بني العباس علم انهم كتبوا ذلك المحضر في سنة (٤٠٢) اثنتين واربعمائة للهجرة[1] وأما ابن الطحاوي الوارد ذكره بين الفقهاء في المتن أو البطحاوي — كما جاء في الحاشية — فصوابه « ابن البيضاوي » نسبة الى بيضاء فارس ، وهو محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الفقيه الشافعي قاضي ربع الكرخ ببغداد في زمان كان يسكن درب السلولي ويدرّس الفقه ويفتي على مذهب الامام الشافعي ، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وعشرين واربعمائة ودُفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرب من غربي بغداد[2]

١٣ — وجاء في ص ١١١ من المجلد انّ القاف شاع لفظها بالهمزة من أرمن حلب ثم عمت المدينة ومنها انبثت في سائر المدن التي ذكرناها » ، قلت : من المستبعد جداً ان تشيع هذا الشيوع وتعمّ هذا العموم وهي لثغة أرمنية يهودية حلبية ، لأن طبيعة الأصوات تستوجب ان تنقلب القاف الى كاف وهذه تكون همزة وهي اللثغة الطبيعية ، وقد نقل ياقوت أنّ احد الفتيان كانت به لكنة شديدة حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم « الراء والكاف » : يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة فكان اذا اراد ان يقول كركي يقول « أغإي » واذا أراد أن يقول كركرة يقول « أغاغة » وينشد للأعشى

(١) ابو الفرج ابن الجوزي « المنتظم ج ٧ ص ٢٥٥ » وكرّرت كتابة المحضر سنة ٤٤٤ « المنتظم ج ٨ ص ١٥٤ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٢ والذهبي في دول الاسلام ج ١ ص ١٨٧ (٢) الخطيب البغدادي « ج ٥ ص ٤٧٦ »

«أغى غجلاً في أفه أئف» يريد «قالت أرى رجلاً في كفه كتف[1]» .
فقلب القاف همزة يجب فيه ان يسبقه حتماً قلبها كافاً .

١٤ — وورد في ص ١٢٢ قول كاتب فاضل «وفي الديوان من التشبيه ما لم يعرف مثله لأبي العلاء أو لم يؤلف في عهده كقوله :

ذوائبه مسك ثناياه لؤلؤ وخداه تبر والعذار زمردُ

قلتُ أمّا أن ذلك لم يعرف مثله لأبي العلاء فصحيح واما أنه لم يؤلف في عهده فغير صحيح ، قال أبو محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسيّ الشاعر المتوفى سنة ٣٩٣ قبل وفاة المعري باثنتين وأربعين سنة :

جوهريّ الأوصاف يقصر عنه كل فهم وكل ذهن دقيق
شارب من زمرّد وثنايا لؤلؤ فوقها فم من عقيق

وذكر ابو اسحق الحصريّ أبياتاً لبعض مشايخ القيروان ورواها عنه ، قال شمس الدين ابن خلكان : غالب ظني أنه [أبو] الحسن علي بن عبد الغني الحصريّ والأبيات ... رأيتها في بعض المجاميع منسوبة الى ابن الحجاج الشاعر المشهور وهي :

ومعذّرين كأنّ نبت خدودهم أقلامُ مسك تستمدّ خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونضروا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا
فهم الذين اذا الخليّ رآهم وجد الهوى بهم اليه طريقا[2]

فهذه التشبيهات كانت مألوفة في زمان المعرّي ويضعف دليل الكاتب الفاضل من هذا الوجه .

١٥ — وورد في ص ١٣٠ «ذيل النفحة ونيل المنحة لمحمد بن السمان اوله : ربّ أوزعني ان اشكر نعمتك» قلت : وجدت في آخر النسخة التي في خزانتي ما هذا نصه «تمّ بحمد الله تعالى ذيل النفحة ونيل المنحة لمولانا المرحوم المغفور له السيد محمد أمين افندي المحبي ، جمع الأديب البارع الشيخ محمد المعروف بابن السمان

(١) ياقوت في معجم الأدباء «ج ٦ ص ٢٨٦» (٢) الوفيات «ج ٢ ص ٥١٢» من طبعة العجم

عفي عنهما[1] » وفي ص ١٣٤ من نسختي أيضاً مانصه « ولجامعه الفقير محمد بن السمان عفا عنه الرحيم الرحمن ... » فالتأليف للمحبّي مؤلف خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، والجمع لابن السمان المذكور .

١٦ — وورد في ص ١٤٣ « فوجدناها لا تتفق ونسبة هذه المذكرات » . والصواب « لا تتفق هي ونسبة » لأنَّ الاسم الظاهر اذا عطف مرفوعاً على الضمير المستتر او المتصل ، وجب[2] تحقيق الضمير وتوكيده بلفظه او الفصل بين الفعل والظاهر بفاصل لفظي ، وشذّ من هذه القاعدة ما ينشده النحويون من الأبيات الغريبة منهـا :

زعم الأخطل من سفاهة رأيه مالم يكن وأبٌ له لينالا

وقولـ آخر :

قلتُ إذ أقبلتْ وهند تهادى كنعاج الفلا تعسفن رملا

ولا يجوز ان يجعل « نسبة » مفعولاً معه لأن الفعل « تتفق » مشترك لا يستغني بمرفوع واحد .

١٧ — وجاء في ص ١٨٢ « تقويم الأبدان لابن جزلة كتب سنة ٢٩٧ هـ » . قلتُ : لعل في الرقم التاريخي غلطاً مطبعياً فانَّ ابا علي يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب المستبصر في آخر عمره توفي في أواخر شعبان من سنة ٤٩٣هـ[3] ، فلعلّ تاريخ كتابته سنة ٤٩٧ سبع وتسعين وأربعمائة ، او ما بعدها ، وجاء في الصفحة نفسها « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ليحيى بن عيسى الكاتب ٤٩٣ هـ في الطب» . وهو ابن جزلة نفسه وتاريخ وفاته صحيح .

---

(١) تراجع مجلة المجمع « مج ١٨ ص ٢٧٢ (٢) يجوز على مذهب الكوفيين وليس بشيء لأنه ورد في الشعر حسب ولا عبرة به اذا خالف النثر ولغة القرآن (٣) شمس الدين ابن خلكان في الوفيات « ج ٢ ص ٢١٠ » من طبعة العجم . وأبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم ج ٩ ص ١١٩ » ووتموهم في مختصر الدول لابن العبري «ص ٣٣٩ » طبعة اليسوعيين وتاريخ الحكماء للقفطي « ص ٢٦٠ » بجعل « التسعين » سبعين أي بجعل وفاته سنة ٤٧٣ فليصلح

١٨ – وجاء في حاشية ص ٢٠٢ ان خلافة الامام المقتفي لأمر الله ابي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله العباسي ابتدأت من اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ . وفي ص ٢٠٩ من المقالة انّ « اول خلافة المقتفي بالله في سنة ثلاثين وخمسمائة » ، والصحيح انّ بيعته كانت في يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة من سنة (٥٣٠) هـ على ما ذكر ابن الجوزي وهو أعرف بها من غيره[1]

١٩ – وفي ص ٢٠٣ س ١ « ولا تعويل لدى معرفة عليه » والصواب « لذي معرفة » بالذال المعجمة لا الدال المهملة ، ومعناه انّ ذا المعرفة لا يعوّل عليه أبداً .

٢٠ – وجاء في ص ٩٩ ذكر لأبي عبد الله محمد بن علي العظيمي المؤرخ الحلبيّ ، وتاريخ ولادته دون وفاته ، قلت : جاء في المجلد السادس من وفيات الأعيان لابن خلكان « ص ٣٢٠ » من طبعة الدكتور فريد الرفاعي سنة ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ ما هذا نصه « ذكر ابن العظيمي الحلبيّ في تاريخه ان الأمين ... » وفي الحاشية ما هذه صورته « هو محمد بن علي بن محمد ابو عبد الله التنوخي الحلبي ، ولد بحلب وكان إماماً شاعراً فصيحاً بليغاً ومن شعره : يلقى العدى بجنان ليس يرعبه ... وُلد ابن العظيمي سنة ٤٨٣ وتوفي حوالي سنة ٥٦٠ ، احمد يوسف نجاتي » وقال هذا الفاضل المعلق في المجلد الثاني ص ١٠٧ ما نصه « هو ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي كان إماماً مؤرخاً وشاعراً بليغاً وأديباً واعياً توفي سنة ٤٨٤ » بجعله سنة الولادة تاريخ الوفاة التقريبي الذي ادعاه ، وله فضل السبق على كل حال مع ما أتاه من الاخلال .

٢١ – وورد في ص ٢١٥ سؤال كاتب فاضل عن كتاب « الطرديات » لكشاجم أقائم هو بنفسه ام داخل في حيز كتاب « المصايد والمطارد » ؟ قلت : يستدل مما اورده ابن خلكان في ترجمة ابن شرشير الأنباري انها كتاب واحد قال « ولابن شرشير أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته والصيود وما يتعلق بها كأنه

(١) المنتظم « ج ١٠ ص ٦١ »

كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم بشعره في كتاب المصايد والمطارد في مواضع منها قصائد ومنها طرديات على أسلوب ابي نواس ومنها مقاطيع وقد أجاد في الكل فمن ذلك قوله طردته في وصف باز : لما تفرى الليل عن أنباجه[1] ...» فدخول الطرديات في المصايد والمطارد واضح في هذا النقل ٠

٢٢ — وورد في ص ٢٠٨ س ٦ « وهجموا ربعتها » والصواب « ربضها » بالضاد المعجمة ، وربض البلدة او المدينة ما حولها من الأحوية والبساتين ، هذا هو الأصل وورد في تاريخ الخطيب البغدادي ما يدل على انّ أرباض مدينة السلام كانت في حيز سورها ومن محلاتها ، وفي المراصد « قيل الربض اساس المدينة ، بضم الراء وبالتحريك ما حولها وقال بعضهم هما لغتان »

٢٣ — وجاء في ص ٢١٦ « ونشر عن بعضها وصفاً مسهباً » وفي الجملة غلطان اولهما استعمال الكاتب الفاضل « عن » مكان اللام ٠ فانه يقال « هذا وصف له » لا وصف عنه والثاني استعماله « مسهباً » من دون صلته « فيه » فانه يقال «أسهب فيه »

٢٤ — وورد في ص ٢١٩ « وأبي طمحان والقنبي » ٠ والصواب « وأبي الطمحان القيني » وهو حنظلة بن الشرقي ، وفيها أيضاً « وذي الرمة محمد » والصواب « وذي الرمة غيلان بن عقبة » وفيها « عبد الصمد بن المعزّل » والصواب « المعذّل »

٢٥ — وفي ص ٢٢١ « ولم يخصص الكتاب للحيوان وحده » ٠ والتصحيح « بالحيوان » يقال « خصّ الشيء بكذا وخصصته به » أما « خصّ » المتعدي في الظاهر فيحتاج الى مخصوص به مثل « اختصه » يقال « خصه بجائزة واختص فلاناً بجائزة »

٢٦ — وفيها أيضاً « انّ من اسباب ... هو خوفه » وهذا إضمار للظاهر قبل ذكره غير جائز أبداً ، فهو مخالف للفصاحة ، فالصواب « ان من إسبابه ... خوفه »

٢٧ — وفي ص ٢٢٢ « في القرون الغابرة » ٠ أراد بالغابرة « السالفة والماضية »

(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٨٥ » من طبعة العجم

وهو ضد ما استعملته فيه فصحاء الأمة وعلماء الملة ، فالغابرة للباقية من حاضرة ومستقبلة ، وأما دعوى أنها من الأضداد فلا يعاج عليها ولا يلتفت اليها لأن منشأ ذلك تصحيف حدث في العين المهملة ، فعدّوها غيناً معجمة ، فالسالفة هي « العابرة » بالعين المهملة والباقية بالغين المعجمة أي « الغابرة »

٢٨ وفي ص ٢٤٢ « قلنا فليسمح لنا حضرته أن نخالفه في رأيه هذا » وهذا تعبير كسير لأن المخالف لا يطلب السماح ، ولا سماح في المخالفة ، فلا يقول أحد « ايذن لي في أن أعصيك » و« طبْ نفساً عما أنزّكهُ » وليس هذا من باب التهكيس كقوله تعالى « فبشرُهم بعذاب اليم »

٢٩ — وورد في ص ٢٥١ ما نصه « أما وجود النون بين القاف والطاء عند الغربيين[1] فمأخوذة[2] من لغة للعرب الذين يقحمون النون في بعض الأحيان فيقولون انجاص في إجاص و ... » قلت : ليس هذا إقحاماً وانما هو إبدال وله قاعدة مطردة القياس في باب الابدال في العربية وهي أنّ العرب تستثقل الحرف الثاني المضعف في الكلمة ، فتبدل من أحد ضعفيه إما حرف علة وأحرف العلة أخف الحروف ، واما نوناً وهي أخف الحروف بعد أحرف العلة ، واما راءً وهي تلي النون في السهولة ، فالنون في الانجاص والخرنوب والدرنوح والقنبرة والفنطيسة ، عوض من الضعف المبدل منه[3]

٣٠ — وفي ص ٢٥٣ « لأنه لا يبقى نصرانيّ ، الا حضره وتقرب منه » و في الحاشية « يمكن ان تكون (فيه) بمعنى تقرّب الى الله فيه » . قلتُ : هذا صحيح يحتاج الى زيادة فيقال « بمعنى تقرّب الى الله فيه بقربان » لئلا يفهم من التقرّب معناه الحقيقي أو المجازي بغير القربان الذي أريد ها هنا .

٣١ — وجاء في ص ٢٥٧ قول المأمون « اسكم على حُرُمي أصحاب اخبار » بضم

(١) Contrée وما يماثلها في الانكليزية واللطينية واليونانية (٢) الصواب « فمأخوذ » لأنّ الوجود مذكر والاخبار عنه لا عن النون ، ولو قال « فأما النون فمأخوذة » لصح قوله ولعله من غلط الطبع (٣) وليراجع كلامنا على [القوضي] في هذه المجلة مج ١٨ ص ٢٥ - ٣

الحاء والراء من «حرُمي» والصواب «حرَمي» بفتح الراء جمع حرمه ، أراد «نسائي». قال الفيومي في المصباح «والحرمة» ايضاً المرأة والجمع حُرَم مثل غرفة وغُرَف» وقال ابو سعيد اسحق بن خلف البهراني يرثي ابنة أخته :

قد كنتَ أخشى عليها ان تقدمني الى الحمام فيبلي وجهها العدم

فالآن نمت فلا هم يؤرقني يهدا الغيور اذا ما أودت الحرَم [1]

٣٢ — وجاء في ص ٢٦٦ «وقال التنوخي حضرتُ ببغداد مجلس الملك عضد الدولة في يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والشعراء ينشدون التهاني» . قلتُ : لعل الأصل «سبع وستين وثلاثمائة» لأن سنة ٣٢٧ لا توافق الحقيقة التاريخية ، وعضد الدولة لم يكن اميراً ببغداد قبل سنة ٣٦٧

٣٣ — وجاء في ص ٢٧٥ «ويسرنا ان نرى الأستاذ الفاضل حريص» . والصواب «حريصاً» ولعلّ الأصل «نرى أن الأستاذ حريص» فسقطت «أنّ» في الطبع ، لأن أمر الغلط هذا من البديهيات .

٣٤ — وجاء في ص ٤٠٢ ما نصه «فالعربية الأولى ... لم تعدّ فتش بحرف ما ثم عدّاها الزمان بعن وفي وعلى ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كتب اللغة والنحو ما يماشي الفعل فتش يمشي معه» قلتُ : ان المعنى هو الباعث على التضمين [2] والتقدير في كلّ الأفعال ، ومبلغ الدلالة هو الموجب للايجاز أو التطويل ، فليست القضية سماعية بل هي قياسية ، لأن أصل العبارة «فتشت

---

(١) المبرد في الكامل [ج ٣ ص ٢٥٣] من طبعة الدلجوني الأزهري ، ولا تزال العامة في العراق يسمون المرأة حُرمة (٢) ضمن [فتش] معنى [دوّر] و [دار] عليه وهو مولد أيضاً ، قال أبو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان [٥٦٩ - ٦١٦] :

فصرت الآن منحنياً كأني أفتش في التراب على شبابي

ولذلك وجب ذكر الفضلة المحذوفة إذا نقل هذا الفعل الى [فاعل] قال ثمامة بن أشرس النميري يصف الفراء [فجالست اليه ففاتشته عن اللغة فوجدته بحراً وفاتشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً [الوفيات ج ٢ ص ٣٧٠] من طبعة العجم .

الدار عن الشيء[1] فهي مفتوشة ، وفتشتها عنه فهي مفتشة » فاذا دلت إحدى الفضلتين على المعنى المهم فمن البلاغة حذف الثانية ، فكذلك قيل « فتشت عن الشيء » والفضلة الثانية مقدّرة بحسب طبيعة اللغة ، ومن أمثلة ذلك « دافعت عن البلاد وحافظت على المال ، وحاميتُ عنه وعليه وذبّ عن العشيرة » والأصل دافعتُ العدوّ وحافظت غيري وحاميتُ الناهب وذببتُ الهاجم » وهذا يستوجب ان يكون « فتش عنه » غير فتشه وان كانت المغايرة ناقصةً لا تامة ، واما اقسام المعنى في مثل « فتش » فهي « الفاتش » و « المفتوش » و « المفتوش عنه » واذا كان المفتوش ظرف مكان جاز ان يقال « فتش فيه » لأن الظرفية من ضروريات الكلام والأصل فيها الجر بالحرف ، أما النصب فهو حادث من حوادث الاختصار والايجاز

٣٥ — وجاء في ص ٤٠٦ « بل النسخة التي اختصها بنفسه » . ومعنى ذلك أنه وهب لها نفسه وهو تعبير عجيب في غرابته ، لأن العاقل لا يهب نفسه لنسخةٍ من مخطوط يُباع ويشترى ، فالصواب — ولعله مُراد الكاتب الفاضل — اختص نفسه بها »

٣٦ — وورد في ص ٤٠٨ من مقامات فخر الدين الجويني الحموئي « وزملكش وقواد » . وفي الحاشية ما نصه « كذا في الأصل وصوابه زملق . . وترى معناها في المعاجم والكلمة بذيئة » قلت : ومن بحث عن معناها لم يجدها بذيئة وانما هي تعني حالة طبيعية في البدن ، أما كون أصل زملكش « زملقا » فبعيد عن الصواب ، والظاهر ان أصل زملكش هو « مزكلش » اسم فاعل من زكلش يزكلش أي تبذّل وغنى في الطرقات أو فعل غير ذلك من الأفعال الدنيئة بحسب آراء المسلمين ، ونؤيد دعوانا بأن أبا منصور بن ابي بكر بن شجاع المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وصفه جماعة من المؤرخين بالمزكلش ، قال ابو شامة بعد ذكر اخيه عبد الغني بن أبي بكر الزاهد: واخوه ابو منصور بن نقطة المزكلش ، كان ينشد كان وكان في الأسواق ويسحّر الناس في رمضان ، قيل له : ما تستحي ،

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٣٢٩] من مجاميعنا الخطية .

أخوك زاهد العراق وانت تزكاش في الأسواق فقال مواليا ... » هذا ماورد في ذيل الروضتين لأبي شامة ومثله تقريباً في تاريخ الاسلام الذهبي ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وله ترجمة مختصرة في الجامع المختصر لابن الساعي الخازن .

٣٧ — وورد في الصفحة عينها « وذهبيّ ومدّاد » فعلق عليه ناشره الفاضل « الذهبي المشتغل بالذهب » وهو تعريف حسير ، وفي انساب السمعاني انّ الذهبي هو الذي يفتن الذهب ويخلصه من الغش ، والذي يعمل خيوطاً من ذهب [1] وبهذا التعريف خرج الصائغ والصيرفي والمستثير للذهب من معدنه واختص به صناع في دار الضرب والمعدّون لغزل السقلاطون وغيره .

٣٨ — وجاء في ص ٤٠٩ « ومتوز ودهّان ونداف وقطّان » وجاء في الحاشية تعليق عليه نصه كذا وردت في الأصل ولم نعرف الكلمة الأصلية التي صحفت عنها ولعلها « مصوّر » لأن الكلمة التي تليها هي دهان ، فيتسق المصورمع الدهان»اه. قلت : بل الظاهر انها « المزوّق » اسم فاعل التزويق ، وهو مشهور معروف المعنى كما في أنساب السمعاني وأساس البلاغة .

٣٩ — وورد في ص ٤٢٣ « كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين : نور الدين زنكي » قلت : والصواب « نور الدين ابن زنكي » لأنه محمود بن زنكي الملقب بنور الدين ولعلّ هذا من غلط الطباعة .

٤٠ — ونشر في ص ٤١٧ وما يليها مقال جامع في كتب الحسبة والنبذ المؤلفة قديماً فيها والمؤلفة حديثاً ، قلت : يجد الباحث في كتاب « تلخيص مجمع الالقاب » لابن الفوطيّ شيئاً من أخبار المحتسبين ونعت الحسبة ومن ذلك قول مؤلفه في أحدهم « علاء الدين أبو عبد الله عبيد الله بن يحيى بن ابي القاسم المذاري المحتسب كان فقيهاً عارفاً بأمور الحسبة ومُراعاة العوام في المتاجروالصناعات ومنعهم من الغش والتدليس في سائر المعاملات وامتحان المكاييل والاوزان وحياطتها من

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٣٢٩] من مجاميعنا الخطية

التطفيف والنقصان ومن فعل شيئاً من ذلك كان يناله بغليظ العقوبة وله في ذلك السيرة العادلة [1] . وجاء في هذه المقالة الجامعة (ص ٤٢٦) ذكر الكتاب كتبه رشيد الدين الوطواط في تقليد الحسبة ، وأحال فيه كاتبه على رسائل الوطواط . قلت : انّ الكتاب نفسه قد أورده ياقوت الحموي في ترجمة رشيد الدين المذكور قال « ومن انشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو : إنّ أولى الأمور بأن تصرف أعنة العناية الى ترتيب نظامه [1] ... » وبينهما فروق في الزيادة والنقصان وفي صور الألفاظ ومن الغريب ان الأستاذ مرغليوث المستشرق المشهور لم يكلف نفسه عناء المقابلة بين النصين مع احالته في الحاشية على رسائل الوطواط ، فمن ذلك ما ورد في معجم الأدباء [1] « وتقصر الهمم » وفي الأصل « تقصر غايات الهمم » وفي معجم الأدباء « ويتوقف عليه صلاح » وفي الأصل « يتعطف عليه »

٤١ — وفي ص ٤٢٩ كلة موسومة بأسماء منتخبة لمسميات حديثة جاء فيها ان الكِنف وزان حبر هو الزنفليجة يكون فيها أداة الراعي ومتاعه . قال كاتبها الفاضل « فالكنف على هذا صالح لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقصه وشفرته وأدواته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً » . قلت : الكِنف أداة من أدوات الراعي ، ومثله « الصُفن » بالضم ، في مختار الصحاح أنه « خريطة تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج اليه » . وجاء في الصحاح أن هذا قول ابي عمرو لأن الصفن عند غيره مثل الركوة يتوضأ به أو وعاء من أدم مثل السفرة يستقى به . وفي مثل هذه المصطلحات يجب ان يُرجع الى التاريخ قبل غيره فيسأل أولو العلم به هل كان أطباء الزمن القديم يتخذون جزدانات ؟ وما اسم الواحد منها ؟ قلت إن المؤرخين كانوا يتساهلون في مثل ذلك وقد جاء في رسالة للامام ابي عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي مدرس النظامية والمستنصرية ودار الذهب والثقتية ببغداد ، بعث بها إلى الخليفة الامام الناصر لدين الله أو الخليفة

(١) معجم الأدباء . [ج ٧ ص ٩٢]

الامام المستنصر بالله يشكو فيها اليه اهل الذمة ويقول فيهـا « ومنهم الاطباء أصحاب المكاسب الجزيلة ... يخرج الصبيّ منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يُعرف وبين يديه المكمة والملحدان يؤذي هذا في بدنه ويجرّب على ذا في عينه فيفتك من أول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكمته مملوءة قراضة ...[1] » فالظاهر ان كيس الطبيب هو « المكمة » ، مأخوذة من مكمة الدابة ، ومن الألفاظ المعربة « الحرمدان » ومعناها الشنطة العصرية وقد استعملت في النجوم الزاهرة قال « وعندما يعزلونه من الوزارة يُصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح يقعد في ديوان الانشاء[2] » وجاء في السلوك « واتفق أنّ الأمير طرنطاي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر فأسرهم وفيهم حامل حُرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء[3] »

٤٢ — وجاء في ص ٤٣٠ « فالدنية وان كانت مولدة عراقية مستعملة منذ عصر الحريري » قلت أورد كاتبها الفاضل بيتاً لابن النكاك استعمل فيه « الدنية » وهذا الشاعر كان معاصراً للمتنبي وقد هجاه ، فالدنية كانت مستعملة إذن منذ أوائل القرن الرابع والحريري أدرك اوائل القرن السادس .

٤٣ — وورد في ص ٤٣١ « السوائل الملتهبة التي يقذف بها ايام الحرب » . قلت : الصواب « المائعات والموائع » لأن السيلان ليس بشرط أصلي في التسمية ولأن اكثر تلك الأشياء لا تسيل ، قال الشريف الرضيّ في قول الرسول ﷺ : ويل لأقماع القول . ما صورته « ... فشبه — ع — آذانهم بالأقماع التي يفرغ فيها ضروب القول إفراغ المائعات[4] » ولم يقل السائلات ولا السوائل مع ان الأقماع لا يُفرغ فيها إلا ما يسيل ويجري ، وذكر الامام الحافظ ابن عبد الهادي

(١) الحوادث الجامعة [ص٦٦ ـ ٧] من طبعتنا له وهي طبعة رديئة داخلها الخلل من جهة المنفق على طبعها وهو أحد الكتبيين التجاريين ببغداد ، فانه تصرف في نشره وطبعه طبع الجرائد العصرية

(٢) النجوم ج ٨ ص ٥٠ (٣) مج ١ ص ٧٩٧ وقد فسره طابع النجوم بالاستعانة بمعجم اسطنجاس وشرحه طابع النجوم بما ورد في مستدرك دوزي (٤) المجازات النبوية ص ٤٩ طبعة مصر

المقدمي" تواليف الامام العلامة الفقيه ابن تيمية ، وقال « وقواعد في المائعات والحياة وأحكامها [1] » فهي في الفقه معروفة بالمائعات أيضاً ، والكتب المدرسية لا يستعمل فيها إلا « السوائل » وهو غلط مبين .

٤٤ — وورد في ص ٤٥٨ أن لباس أهل الأندلس في أيام الحزن هو البياض وفي ذلك يقول الحلواني : « لئن كان البياض لباس حزن ... » ، قلت : ذكر العلامة شمس الدين ابن خلكان البيتين المذكورين في الأصل – اعني ص ٤٥٨ — في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني قال « وقال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت ويقال انهم استسنوا ذلك من عهد الأمويين قصداً لمخالفة بني العباس في السواد : إذا كان البياض لباس حزن... » ، ونود ها هنا ان نذكر أن العباسيين جعلوا السواد لباسهم المعتاد واتخذوا البياض لايام الحزن فقط — كما كان يفعل أهل الأندلس ، قال الشيخ المؤرخ المقري أبو عبد الله بن الدبيثي في ترجمة أبي داود سليمان بن ارسلان « ولما افضت الخلافة الى سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الأنام ابي العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين — خلد الله ملكه — شرفه بتوليته النيابة بديوان المجلس ... وخلع عليه بالتاج الشريف جبة ابريسم بيضاء مصمتة وبقيار قصب ابيض لأجل العزاء بالامام المستضيء بأمر الله — رض — ... [2] » ، وقال الشيخ الأديب الكبير صلاح الدين الصفدي في ترجمة سلجوقي خاتون بنت قليج ارسلان بن مسعود السلجوقية والأمور التي حدثت لوفاتها « ورفعت العذر والطرحات ولبسوا الأبيض ورفعت البسملة ووضعت على رؤس الخدام » ، ذكر ذلك في الوافي بالوفيات ، وهذا يوضح ما ورد في الحوادث الجامعة « ص ١٧٢ » من أن الزعماء ركبوا بالأقبية البيض وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار في ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان : ليلة نقل جثة الامام المستنصر بالله العباسي من الدار المثمنة بدار الخلافة من الجانب الشرقي ببغداد الى مقبرة الخلفاء العباسيين في محلة

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٦٥

(٢) أصول التاريخ والأدب مج ٢٠ ص ١٨٩ ، من مجموعاتنا الخطية

الرُصافة قرب محلة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المعروفة اليوم بالأعظمية وقديماً بمقبرة الخيزران زوج الخليفة المهدي بن المنصور .

٤٥ — وجاء في ص ٤٥٩ « وكلا الناقل والمنقول عنه يُبدع الابداع كله » قلت : والفصيح « والناقل والمنقول كلاهما » و « وكلا الرجلين الناقل والمنقول عنه . . . » إذ لم يكن من الفصيح اضافة « كلا » إلى المفرد وكذلك الأمر في « كلتا »

٤٦ — وجاء في ص ٤٧٠ ان بنفشا الرومية جارية الامام المستضيء بأمر الله العباسي توفيت بوم الجمعة في ١٩ ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ . قلت : وفي التاريخ خطأ عظيم صوابه سنة ٥٩٨ هـ قال الامام ابو المظفر سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ « وفيها توفيت بنفشا بنت عبد الله جارية المستضيء كانت كريمة صالحة . ولما توفيت تولت أمرها والدة الخليفة [الناصر لدين الله] وجهزتها احسن جهاز ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي وذلك في ربيع الأول[1] » . وكنت ذكرت أن التربة باقية الى اليوم بقيتها المخروطة وتعرف بقبة الست زبيدة ، في الجانب الغربي من بغداد ، وقال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ : « الجهة[2] بنفشا بنت عبد الله التركية الجنس ، عتاقة الامام المستضيء بأمر الله — رض — كان لها بر ومعروف وصدقة جارية وقفت مدرسةً بباب الأزج على دجلة على فقهاء الحنابلة ووقفت عليها قرية وأمرت بعمل جسر على دجلة ، ولها بطريق مكة آثار جميلة توفيت يوم الجمعة تاسع عشري شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وتسعين المذكورة وصُلي عليها بالجانب الغربي عند التربة المجاورة لقبر معروف الكرخي — رحمة الله عليه — ودفنت بها[3] » .

وذكر وفاتها في التاريخ المذكور شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام وابوشامة في ذيل الروضتين وابن الأثير في الكامل ، الا أن لفظة « المستضيء » في الطبعة المصرية تصحفت الى « المستنصر » فصارت « جارية المستنصر » وذلك خطأ واضح . ولها ولمدرستها التي درّس فيها ابن الجوزي أخبار جميلة لا محلّ لها ها هنا .

(١) مرآة الزمان مختصر المجلد الثامن ص ٣٣١ ـ ٢ طبعة شيكاغو (٢) الجهة هي حرمة الخلفاء والسلاطين والملوك الكبار (٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٨٨ ـ ٩ من طبعتنا وهي الأولى

٤٧ — وجاء في ص ٣٢١ « كتاب « روضة البلاغة لأبي الحسن عبد الملك بن محمد ، هو مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقمه ١٤٨ أدب » قلت : الذي أعلمه من اسماء الرجال « أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن ابراهيم الهمذاني أحد المؤلفين المشاهير والمؤرخين البارعين ، وله عدة كتب ذكر منها الحاجي خليفة في كشف الظنون ، وتوفي سنة ٥٢١ كما في تاريخ المنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ج ١٠ ص ٨ » وكامل ابن الأثير في وفيات تلك السنة ، والظاهر لنا أنه مؤلف روضة البلاغة إلا ان اسمه تصحف ، وصحب بذلك تاريخ وفاته

٤٨ — وجاء في ص ٣٢٦ « سمع المأمون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً « كذا » وأولاني الله فيه بلسانه [1] الجميل وذلك ... » قلت : الظاهر أنّ الأصل هو « كان لي بخراسان يوم عجيب واولاني الله فيه بمسائه الجميل » ، أراد ان النهار كان مشؤماً عليه فأولاه الله تعالى الجميل في المساء

٤٩ - وفي ص ٣٢٨ قول هازل متنادر « لا أعرف لك عملاً أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش » . قلت : الصحيح « بزندات » جمع بزند على وزن سَمَرْخَس وهو الجسر — على ما يظهر لي من الأخبار — ، فما نقله هلال في تاريخه للوزراء قول أحدهم « وقدّر للنفقة على بزند من بزندات نهر الرفيل ثلاثون ديناراً فلم يُطلقها وقال : نفقة هذا البزند واجبة على صاحب الضيعة [2] » وقد كرّر هذا اللفظ غير مرّة ، وقد جاء في أخبار هلال ما هذا نصه « يا معاشر الناس اجتزتُ الساعة على جسر قارون وهو بزندٌ من البزندات ، وتسمى البزندات بمصر جسوراً [3] » وجاء في أحد الكتب « قال أبو الوفاء البوزجاني : المساحة تنقسم الى ثلاثة أقسام : بسيط وأجسام وأبعاد ... والجسم مثل الأنهار والبرك والآبار والأحواض والبزندات ... [4] »

يتبع : (بغداد) الدكتور مصطفى جواد

---

(١) وهذه العبارة تستوجب [كذا] كذلك (٢) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧

(٣) المرجع المذكور ص ٣٢٠ (٤) الحاوي في أعمال المتصرفين ، لمؤلف مجهول ، رقمه ٢٦٦٢ من عربيات دار الكتب الوطنية بباريس [الورقة ٢٢٩]

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد الحادي والعشرين